أجاثا كريستي

اللّوحة القاتِلة

دار النجمة للنشر والتوزيع

اللوحة القاتلة

بسم الله الرحمن الرحيم

أجاثا كريستي

اللوحة القاتلة

دار النجمة للنشر والتوزيع

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر:
دار النجمة للنشر والتوزيع

يُمنَع تصوير أو إعادة إنتاج هذا الكتاب
ورقياً أو إلكترونياً إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

للاستفسار والطلبات التجارية
AgathaBooks@sardira.com

الفصل الأول

راح لانسكوم العجوز يرفع الستائر عن نوافذ الواجهة الأمامية لقصر أندربي العتيق بيدين مرتجفتين متحاملاً على نفسه، حتى يكون في استقبال أفراد الأسرة عند عودتهم بعد تشييع جنازة سيده رتشارد أبرناثي رب القصر.

إن لانسكوم لم يستطع أن يغالب مشاعر الحزن التي تملكته لفقد سيده الطيب القلب الذي عاصره عشرات السنين، كان فيها بمثابة الأب البار لأشقائه وأبناء وبنات أشقائه قبل أن يتفرقوا منذ خمس وعشرين سنة في سبل الحياة ومسالكها، حتى إن لانسكوم لم يكد يعرف بعضهم عند عودتهم إلى القصر لتشييع الجنازة، خصوصاً وقد أصبح طاعناً في السن وقد دبّ في إبصاره ذلك الضعف الشديد الذي يكاد يعجزه عن تمييز الوجوه. ومع ذلك فإنهم تذكروه جيداً عندما رأوه بعد تلك السنوات الطويلة، حتى إن كورا، شقيقة الفقيد، قد هتفت تحييه بهذه العبارة: آه! هذا هو لانسكوم بخير.

والواقع أن رئيس الخدم العجوز قد تأثر بتلك الكلمات

رغم أن كورا أغضبت شقيقها الأكبر بانفصالها عن الأسرة وزواجها من لانجنيز، الرسام الفرنسي المغمور، وكانت هذه الخطوة متمشية مع ما عُرف عنها من غرابة الأطوار. ومهما يكن فلم تمض ربع ساعة حتى توافد أفراد الأسرة في سياراتهم واستقروا في النهاية في قاعة الجلوس الكبرى الخضراء.

وقرب المدفأة التي كانت تتراقص فيها ألسنة اللهب وقف المحامي أنتويسل، منفّذ الوصية وصديق رب الأسرة الراحل، يتصفح الوجوه في هدوء بنظرات الخبير. استقرت نظراته أولاً على وجه هيلين، أرملة شقيق رب الأسرة. كان يعرفها جيداً ويخصها باحترامه، ورغم أنها قد ناهزت الخمسين من عمرها الآن ودبّ المشيب في شعرها فإنها ما زالت محتفظة بحيويتها التي كانت تتجلى في عينيها الزرقاوين.

وسرح بنظراته إلى مود، زوجة تيموزي، الشقيق الوحيد الباقي على قيد الحياة. إن الفرصة لم تسنح له كي يعرفها جيداً لكنها بدت له امرأة قوية البنية مقتدرة، ولا شك أن تلك الصفات كانت عونها الكبير في احتمال متاعب زوجها المريض بصورة دائمة الذي لا يبارح الفراش ولا يكف عن الشكوى، رغم أن هناك من يرتابون في حقيقة علته ويعزونها إلى الوهم أو المبالغة.

ثم انتقل المحامي الكهل بنظراته إلى جورج كروسفيلد الشاب، ابن أخت رب الأسرة المتوفى. كان جورج يعمل في مكتب للأشغال القضائية، وكان شاباً وسيماً ولكن كان

المعروف أن موارده المالية محدودة وظروف حياته تحيط بها الشبهات.

واستقرت نظرات المحامي العجوز عند روزا موند، ابنة أخت رب الأسرة الراحل. كانت جميلة المحيا وهي تركز نظراتها في باقة الزهور الصناعية فوق الطاولة الرخامية. إن أضواء المسرح قد اجتذبتها فاشتغلت بالتمثيل وتزوجت مايكل شان الممثل، ومع ذلك فإن المحامي العجوز لم يستطع إلاّ أن يحول نظره في نفور عن ذلك الشاب الوسيم الأشقر الذي لم يكن له ماضٍ معروف.

وكانت سوزان، ابنة الأخت الثانية، جالسة عن كثب منه، فراح يتفرس في محياها بإمعان. كانت ملامح وجهها الفاتن تنم عن قوة الشخصية، ولو أنها اشتغلت بالمسرح لكانت أقرب إلى النجاح من روزا موند. وقد جلس قربها جريجوري بانكس، مساعد الصيدلي الذي تزوجته منذ شهور. وكان شاحب الوجه متوتر الأعصاب، حتى عجب المحامي العجوز من حالته. ولكن لعل ذلك بسبب وجوده وسط هذا الجمع العائلي الذي ضمه لأول مرة.

وكان آخر من تفحصهم المحامي العجوز بنظراته هي كورا لانجنيز، شقيقة رتشارد الصغرى. المسكينة كورا، كانت مصدر تعب للأسرة نتيجة لتلك العادة القبيحة التي تأصلت فيها والتي كانت تجعلها تنطق فجأة بكلام غريب كان من الخير ألا تقوله، وقد بلغ من غرابة أطوارها وتهورها أن أحداً لم يخطر له أنها يمكن أن تتزوج. ومع ذلك فإنها قد

فاجأت الأسرة ذات يوم -على طريقتها المعتادة- بأنها سوف تتزوج بيير لانجنيز، الفرنسي الذي قابلته في معهد للرسم بالألوان، حيث كانت تتدرب على هذه الهواية الفنية.

نعم، لقد عارض شقيقها الأكبر رتشارد هذا الزواج بشدة لاعتقاده بأن الشباب من طلاب الثروة، ولكن معارضته ذهبت سدى بعد أن هربت كورا مع الشاب وتزوجته غير عابئة بغضب الأسرة، وعاش الزوجان فترة طويلة في مقاطعة بريتاني الفرنسية وإقليم كورنوول البريطاني وغيرهما من مواطن الفن. ومع أن لانجنيز لم يكن رساماً موهوباً ولا زوجاً مثالياً، إلاّ أن كورا ظلت مخلصة وفية له، ولم تغفر قط لأسرتها مسالك الجفاء الذي سلكته نحوه. ورغم هذا فإن رتشارد كان كريماً حيال شقيقته الصغرى، فقد منحها راتباً مكنّها من العيش هي وزوجها في يسر.

لكن لانجنيز توفي منذ نحو عشر سنوات. وها هي كورا جالسة الآن في ملابس الحداد، لا تخفي سرورها من الرجوع إلى مهد الطفولة والصبا، وتتذكر في كثير من المرح والسذاجة العديد من معالم حياتها الماضية دون أن تتكلف الحزن على شقيقها الأكبر الراحل، كعادتها في الصراحة القاطعة.

ولم يستطع المحامي العجوز، أنتويسل، أن يسترسل في تأملاته، فقد جاء لانسكوم مرة أخرى وأعلن للحاضرين أن الغداء قد أعد.

* * *

الفصل الثاني

استقر أفراد الأسرة في قاعة المكتبة بعد تناول الطعام، وراحوا يشربون القهوة ويتجاذبون الحديث بعد أن طرحوا عنهم التكلف الذي التزموه أثناء تشييع الجنازة، خصوصاً ولم تكن روابط الود قوية بينهم وبين رتشارد أبرناثي الراحل حتى يحزنوا لوفاته المفاجئة وهو في الثامنة والستين من عمره.

كان اهتمامهم الآن منصرفاً إلى سماع الوصية التي تركها رب الأسرة الراحل، ولهذا تعلقت أنظارهم بالمحامي أنتويسل. واستجاب لهم المحامي، إذ قال وهو ينظر إلى ساعته: لا بد لي أن ألحق بقطار الساعة الثالثة والنصف إلى لندن.

وبدا أن بينهم من يريدون اللحاق بهذا القطار أيضاً. وقد استطرد المحامي قائلاً: أنتم تعرفون أنني منفذ وصية رتشارد أبرناثي، وهذه الوصية حتى سنة مضت كانت بسيطة جداً، فقد أوصى فيها بكل شيء إلى ولده الوحيد مورتيمر، فيما عدا بعض هبات معينة.

وهنا قالت كورا: المسكين مورتيمر! لم أكن أتصور أن يؤدي شلل الأطفال الذي أصيب به إلى وفاته.

- لقد كانت وفاة مورتيمر بهذه الصورة المفاجئة ضربة أليمة لرتشارد، وقد انقضت شهور طويلة قبل أن يفيق من الصدمة. وعندها أشرت عليه بأنه من المستحسن تعديل الوصية.

وعندئذٍ قالت مود بصوتها العميق: ما الذي كان يحدث لو أنه لم يترك وصية جديدة؟ هل كان الميراث كله يؤول إلى شقيقه الوحيد تيموزي؟

ولم يشأ المحامي أن يرد على الأسئلة الاعتراضية، ولهذا ترك مود، زوجة تيموزي، بغير جواب، وأردف يقول: إن رتشارد قرر بناء على مشورتي عمل وصية جديدة. على أنه رأى قبل ذلك أن يتعرف بصورة أوفى على الجيل الجديد من أبناء الأسرة.

فقالت سوزان بنت الأخت بضحكتها الرنانة: لقد اصطادنا متفرقين. كان الأول جورج، ثم جريجوري زوجي وأنا، وبعد ذلك روزا وزوجها مايكل!

ولكن المحامي تجاوز عن هذه الأحاديث الفرعية واستطرد يقول بلهجة أقرب إلى البرود: في نيتي أن أرسل إليكم جميعاً صوراً من الوصية، وبتجريدها من الاصطلاحات القضائية فهذا هو ملخصها:

بعد هبات صغيرة معينة ومبلغ مخصص لخادمه العجوز لانسكوم لشراء شيء يدر له إيراداً سنوياً، فإن الجزء الأكبر من التركة (وهو جسيم) يقسم إلى ست حصص متساوية، وأربع من هذه الحصص يؤول بعد خصم كافة الضرائب والرسوم إلى: تيموزي شقيق رتشارد الوحيد الباقي على قيد الحياة، وجورج كروسفيلد ابن أخيه، وسوزان بانكس بنت أخته الثانية، وروزا موند بنت أخته الثالثة. والحصتان الباقيتان يخصص ريعهما للسيدة هيلين أرملة أخيه المتوفى ليو، ولشقيقته الصغرى السيدة كورا لانجنيز، وبعد وفاتهما يقسم رأسمال الحصتين بين المنتفعتين الأربعة الأوائل أو ذريتهما.

وهنا قالت كورا لانجنيز بلهجة التقدير الخالص: هذا شيء جميل جداً. إيراد ثابت، كم يبلغ؟

- لا يمكنني تحديد هذا بالضبط. إن ضريبة التركات ستكون عالية بالطبع و...

- ألا تقدر أن تعطيني فكرة تقريبية؟

- ربما في حدود مبلغ يتراوح بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف جنيه سنوياً.

فقالت كورا: جميل جداً! سأذهب إلى كابري.

وقالت هيلين برقة: هذا كرم من رتشارد. إنني أسجل بالتقدير مودته نحوي.

وعادت كورا تقول: ومع ذلك فقد حرص على كتمان ظروف الوفاة، أليس كذلك؟

وعندئذٍ حملق فيها جميع الحاضرين حتى لاح عليها الارتباك وقالت بسرعة: أعتقد أنكم جميعاً على حق. أعني أنه لن تكون هناك فائدة لأحد من إذاعة ظروف الوفاة، فالمسألة غير سارة للجميع ولا بد أن يبقى الأمر محصوراً في نطاق الأسرة.

والواقع أن هذا التلميح قد جعل جميع الأنظار المتجهة إلى كورا تزداد حيرة، ولم يتمالك المحامي أن قال لها: الحقيقة يا كورا أنني لا أفهم ماذا تقصدين بهذا الكلام؟

فما كان من كورا إلا أن راحت تدير نظراتها في وجوه أفراد الأسرة بدهشة ظاهرة، ثم قالت في النهاية وقد أمالت برأسها إلى جانب كما يفعل الطير: لقد مات رتشارد مقتولاً، أليس كذلك؟

* * *

الفصل الثالث

جلس المحامي أنتويسل في ركن مركبة الدرجة الأولى في القطار المتجه إلى لندن وهو مشغول البال بالكلمات الغريبة التي تفوهت بها كورا لانجنيز. نعم، إن كورا كانت دائماً امرأة متهورة وغير متزنة في أقوالها وأفعالها، وكثيراً ما ضاقت بها الأسرة في صغرها بسبب ما كانت تسببه تصريحاتها الطائشة من حرج للأسرة. لكن ما الذي دفعها إلى التفوه بهذا التصريح المروع؟

* * *

في إحدى مركبات الدرجة الثالثة بنفس القطار المتجه إلى لندن جلست سوزان، ابنة أخت الفقيد، وزوجها جريجوري بانكس مساعد الصيدلي، وكان يقول لها: لا بد أن خالتك كورا مختلة العقل تماماً؟

فقالت سوزان وهي شاردة الذهن: خالتي كورا؟ آه، نعم، أظن أنها كانت دائماً ساذجة أو شيئاً من هذا القبيل.

لكن جورج كروسفيلد، ابن أخت الفقيد الذي كان جالساً

في مواجهة الزوجين، قال بحدة: الحقيقة أنه لا بد من الحيلولة دون أن تذهب هنا وهناك تردد شيئاً كهذا. إن كلامها الغريب قد يثير تساؤل الناس وفضولهم.

أما روزا موند، بنت الأخت الأخرى، فكانت منهمكة في صبغ شفتيها، لكن هذا لم يمنعها من أن تقول بدورها: لا أظن أنه يجب الاهتمام بما يصدر عن هذه الخالة المهووسة. انظروا إلى غرابة ملابسها بدعوى أنها من أهل الفن، وما هي إلا أضحوكة!

قال جورج ثانية: على كل حال لا بد من منعها من التحدث.

فقالت روزا ضاحكة وهي تضع إصبع أحمر الشفاه جانباً: حسناً يا عزيزي، امنعها إذن.

فقال زوجها مايكل شان الممثل: أعتقد أن جورج على حق. ما أسهل أن يبدأ الناس في القيل والقال بعد أقوال كورا الغريبة!

قالت روزا موند وقد زادت ابتسامتها استخفافاً: إذا صحّ أن خالي رتشارد قد مات مقتولاً، فمن تظنون أن يكون القاتل؟

ولما لم يجب أحد راحت ترد بنفسها على السؤال قائلة بلهجة الاستخفاف التي التزمتها: إن موته كان مريحاً جداً لنا جميعاً. بالنسبة لنا مثلاً، فإن مايكل كان يعاني من أزمة مالية

في عمله المسرحي، وفي وسعه الآن أن يقوم بتمويل الدور الذي يناسبه.

على أن أحداً لم يستمع لكلماتها العابثة، فقد أخلد كل منهم إلى تأملاته الخاصة.

* * *

أخذت مود أبرناثي تغير ملابسها استعداداً للعشاء (إذ قررت أن تبيت ليلتها في قصر أندربي) وهي تفكر فيما لو كان الواجب يحتم عليها أن تبقى فترة أخرى لمساعدة هيلين في فحص أوراق الفقيد ومتعلقاته، غير أنها رأت بعد التفكير أنه لا لزوم لهذه العملية لأن الأوراق الهامة قد انتقلت إلى حوزة المحامي أنتويسل، ولأنه يجب عليها أن تبادر بالعودة إلى زوجها تيموزي المريض بصورة دائمة قبل أن يتملكه الضجر والسخط.

* * *

جلست هيلين أرملة شقيق الفقيد بجانب المدفأة في قاعة الجلوس الخضراء تنتظر حضور مود لتناول العشاء. وتذكرت أيامها الحلوة في هذا القصر الكبير عندما كانت تقيم فيه مع زوجها في رحاب الأسرة، أما الآن فإن القصر بات موحشاً بعد أن خلا من الأهل والأحباب. ولم تتمالك هيلين أن قالت لنفسها: "ربما لم تكن كورا من أهل النفاق مثلنا جميعاً"! وألحت على ذهنها صورة كورا عندما فاهت

بعبارتها المروعة والوجوه كلها تحدق إليها باستغراب. وبوضوح هذه الصورة في خيال هيلين ذكرت شيئاً جعلها تقطب وجهها... هناك شيء غير طبيعي في تلك الصورة.

أهو شخص في تلك الصورة؟ أهو شيء في تلك الصورة؟ هل كان تعبيراً معيناً ارتسم على أحد الوجوه؟ هل كان شيئاً ظهر لها وقتها وهو في غير موضعه، وعلى غير طبيعته؟ لم تدرِ هيلين على وجه اليقين، ومع ذلك كان في تلك الصورة شيء ما خاطئ.

* * *

الفصل الرابع

أمضى المحامي أنتويسل ليلة قلقة، وقد بلغ من شدة تعبه وإعيائه أنه لم يغادر الفراش في الصباح. لقد استقر عزمه على أن يذهب إلى قرية لتشت سانت ماري لمقابلة كورا، بدعوى أنه يريد استكمال بعض التوقيعات لأغراض تتعلق بإجراءات تنفيذ الوصية، ثم يحاول استدراجها لمعرفة ما وراء عبارتها البلهاء الغريبة.

وهكذا قضى نهاره في الراحة وقراءة الصحف، ثم دق جرس تليفونه حوالي الساعة السادسة إلاّ الربع مساء. كان المتكلم هو جيمس باروت، شريكه في مكتب المحاماة، وقد قال له: اسمع يا أنتويسل، إن الشرطة قد اتصلت بي تليفونياً من قرية يسمونها لتشت سانت ماري.

- لتشت سانت ماري؟

- نعم، والمسألة تتعلق بسيدة تدعى السيدة كورا لانجنيز. أليست هي إحدى المنتفعات في تركة رتشارد أبرناثي؟

- نعم، طبعاً. لقد رأيتها أمس في الجنازة.

- آه! هل كانت في الجنازة؟

- نعم، ماذا عنها؟

فقال باروت بلهجة الأسى: حسناً، المسألة في غاية الغرابة... لقد وُجدت مقتولة!

- مقتولة؟!

- نعم، نعم. يظهر أن هذه بيانات لا شك فيها.

- وكيف توصلوا إلينا؟

- عن طريق مرافقة لها تدعى الآنسة جيلكريست. الشرطة سألت عن اسم أحد أقاربها أو محاميها، والظاهر أن المدعوة جيلكريست هذه لم تكن تعرف عناوين أقاربها ولكنها كانت تعرف اسم المحامي، وهكذا تمّ اتصال الشرطة بنا.

- وكيف تأكدت الشرطة من مسألة القتل؟

- الظاهر أن هذه المسألة غير مشكوك فيها، فقد استخدمت بلطة. وهي جريمة من النوع العنيف.

- هل كان القتل بقصد السرقة؟

- هذه هي الفكرة العامة، فقد وجد زجاج نافذة المطبخ مهشماً وبعض حلي الآنسة مسروقاً، لكن الشرطة تظن أن ملابسات الحادث غريبة.

- متى وقع الحادث؟

- في وقت ما بين الساعة الثانية والساعة الرابعة والنصف بعد ظهر اليوم.

- وأين كانت المرافقة؟

- كانت تقوم بتغيير بعض الكتب في بلدة ريدنج. وقد عادت حوالي الساعة الخامسة فوجدت السيدة لانجنيز ميتة. والشرطة تريد أن تعرف إن كانت لدينا أية فكرة عمن يحتمل أن يكون الجاني؟

* * *

وضع المحامي أنتويسل أمام مفتش الشرطة مورتون كافة الحقائق والمعلومات المتعلقة بكورا لانجنيز: نشأتها وزواجها وحالتها المالية وأقاربها، ثم اختتم قائلاً: إن السيد تيموزي أبرناثي هو شقيقها الوحيد الباقي على قيد الحياة، وهو أقرب ذوي نسبها بالطبع، ولكنه مريض ولا يفارق بيته. وقد أعطاني توكيلاً للتصرف في كافة المعاملات نيابة عنه.

فأومأ مفتش الشرطة تقديراً لهذه المعلومات والمعاونة الصادقة من جانب المحامي وقال: لقد فهمت من المرافقة، الآنسة جيلكريست، أن السيدة لانجنيز قد سافرت إلى شمال إنجلترا لحضور جنازة أخيها الأكبر في اليوم السابق لوفاتها؟

- هذا صحيح، وكنت حاضراً بنفسي.

- ألم تلاحظ في أحوالها وتصرفاتها شيئاً غير عادي؟

- أرجو أن تزيدني إيضاحاً يا سيدي المفتش.

- الحقيقة أن القضية فيها ملابسات غريبة. لنقل، مثلاً، إن مجهولاً راقب المرأة المدعوة جيلكريست وهي تغادر الفيلا الصغيرة حوالي الساعة الثانية وتذهب إلى القرية ومحطة الحافلة. ثم يأخذ هذا المجهول البلطة الموجودة قرب حظيرة الخشب ويكسر نافذة المطبخ ويدخل الفيلا ويصعد الدرج، ويعتدي على السيدة لانجنيز بالبلطة. وهو اعتداء وحشي لأنه انهال عليها بست ضربات أو ثماني ضربات! وبعد ذلك يفتح هذا المجهول الأدراج ويستولي على بعض الحلي القليلة التي لا تزيد قيمتها عن عشرة جنيهات، ثم يبادر بالهرب والاختفاء.

- هل كانت في فراشها وقت الجريمة؟

- نعم، والظاهر أنها عادت متأخرة من الشمال في الليلة السابقة، وكانت منهوكة ومضطربة الأعصاب. لقد فهمت أنها ورثت شيئاً فيه تركة؟

- نعم.

- لقد نامت نوماً سيئاً واستيقظت وهي تشعر بصداع عنيف، فتناولت عدة أقداح من الشاي مع بعض العقاقير لتسكين الصداع الشديد، ثم طلبت من الآنسة جيلكريست ألا تزعجها حتى موعد العشاء. ولم يؤد هذا إلى تحسن في

حالتها فتناولت قرصين منومين. وبعد ذلك أرسلت الآنسة جيلكريست إلى بلدة ريدنج بالحافلة لتغيير بعض الكتب من المكتبة العامة. وكانت ولا شك في حالة نعاس أو كانت نائمة عندما تسلسل ذلك المجهول إلى الفيلا. وكان بإمكانه أن يحصل على ما يريد بالتهديد أو كان بوسعه تكميمها، أما حمله البلطة عمداً من خارج الفيلا فهذا ما يبدو شيئاً شديد الغرابة.

فقال المحامي: ربما قصد تهديدها فقط، وعندما أبدت بعض المقاومة...

- الفحص الطبي أثبت عدم وجود أية مقاومة، ويبدو أنها كانت مستلقية على جانبها في نوم هادئ عندما وقع الاعتداء عليها.

فقال أنتويسل محاولاً تعليل الحادث: إن الإنسان يسمع أحياناً عن وقوع هذه الجرائم الوحشية التي لا دافع إليها غير حب العنف.

- هذا شيء في دائرة الاحتمال. وبالطبع فهناك رقابة دائمة حول المكان ونحن مطمئنون إلى الإجراءات المتخذة، ولا تنسَ أن الفيلا تقع في طرف حي خارج القرية تحيط به شبكة من الحارات المتداخلة. وقد كان الجو صحواً ولم يكن هناك مطر منذ أيام، وهكذا لم نعثر على آثار عجلات سيارة يمكن أن نستدل بها في حالة قدوم إحدى السيارات.

- هل تظن أن أحداً ما قد جاء بسيارة؟

- لا أدري، كل ما أقوله هو أن هناك ظروفاً غريبة تحيط بالقضية. منها مثلاً أن بعض الأساور والمشابك والعقود التي أُخذت من علبة حلي القتيلة قد عُثر عليها ملقاة خارج الفيلا تحت إحدى الشجيرات.

- غريب! ربما شعر المعتدي بالخوف من جريمته فألقاها هناك.

- هذا ممكن، لكن كان يمكنه تركها في الغرفة. وعلى كل حال لا يستبعد أن الذعر تملّكه فيما بين غرفة النوم والباب الخارجي.

فقال المحامي بهدوء: أو ربما أُخذت الحلي بقصد التضليل كما تلمح أنت باستنتاجاتك.

- نعم، هناك احتمالات كثيرة، وبالطبع من الجائز أن تكون المدعوة جيلكريست هي الفاعلة. وإن كان هذا الاحتمال لا يبدو قوياً، فقد كانت العلاقات بين المرأتين ودية جداً.

وتوقف مفتش الشرطة برهة قبل أن يستطرد بقوله: المفهوم مما سمعته منك أنه لا يوجد أحد يمكن أن يستفيد من موت السيدة لانجنيز؟

فأجاب المحامي: أنا لم أقل ذاك بالضبط.

فتطلع إليه المفتش بحدة قائلاً: فهمت من كلامك أن مصدر إيراد السيدة لانجنيز هو راتب قدّره لها أخوها، وأنها

-فيما تعلم أنت- ليست لها ممتلكات أو إيرادات خاصة.

- هذا هو الواقع. زوجها مات مفلساً، وحسب ما عرفته عن أحوالها عندما كانت فتاة وفيما بعد ذلك فسيكون من دواعي الدهشة أن أعرف أنها ادخرت أو جمعت أية ثروة.

- وقد ظهر من تحرياتنا أن الفيلا ذاتها مستأجرة وليست ملكاً وأثاثها يسير لا قيمة له، وليس هناك سوى مجموعة صور فنية لا يفيد منها أي إنسان كثيراً.

- هذا يفرض أنها تركت وصية؟

- لا أعرف شيئاً عن وجود وصية، فأنا لم أرها منذ سنوات طويلة.

- ومسألة الإيراد الذي آل إليها من أخيها، هل كان يمكنها التصرف فيه بإرادتها؟

- كلا، لم يكن لها أن تتصرف في رأسمال الريع. وبعد أن توفيت الآن فإنه سوف يقسم بين المستفيدين الخمسة الآخرين من وصية رتشارد أبرناثي بصورة آلية.

فقال المفتش وقد ظهرت عليه دلائل خيبة الأمل: كنت أظن أننا سنتوصل إلى شيء من هذه الناحية، ويظهر أنه لا يوجد دافع للقتل هنا. والأغلب أن القاتل شخص مجنون أو من هواة أعمال العنف... وهم كثيرون هذه الأيام. ولعله بعد أن ارتكب جريمته قد خانته أعصابه فألقى بالحلي ثم لاذ بالهرب. نعم، لا بد أن الجريمة تمت هكذا، اللهم إلاّ إذا

كان الفاعل هو الآنسة جيلكريست ذات المظهر المحترم، ولا بد لي أن أقول إن ذلك شيء بعيد عن الاحتمال.

- متى اكتشفت الآنسة جيلكريست الجثة؟

- لم تكتشفها قبل الساعة الخامسة تقريباً. لقد عادت من بلدة ريدنج في حافلة الساعة ٤,٥٠ تقريباً ودخلت إلى الفيلا من الباب الأمامي، وذهبت إلى المطبخ ووضعت إناء الشاي على النار، ولم تسمع صوتاً من ناحية غرفة السيدة لانجنيز ولكنها قدّرت أنها كانت لا تزال نائمة. وبعد ذلك لمحت نافذة المطبخ ورأت الزجاج مهشماً ومتناثراً على الأرض، وحتى عند ذلك فقد خطر لها وقتها أنه ربما كان من فعل صبي رمى حجراً. فصعدت الدرج وأطلت بحذر إلى غرفة السيدة لانجنيز لكي ترى إن كانت نائمة أو أنها تريد الشاي، وبالطبع فإنها صرخت واندفعت إلى الخارج لتستنجد بأقرب جار لهم... إن قصتها تبدو متماسكة تماماً، ولا يوجد أي أثر لدم في غرفتها الخاصة أو حمامها أو فوق ملابسها. نعم، لا أظن أن للآنسة جيلكريست أي ضلع في هذه الجريمة، وقد جاء الطبيب في الساعة الخامسة والنصف وحدد وقت الوفاة بما لا يتجاوز الرابعة والنصف ورجح أنه أقرب إلى الساعة الثانية، وهكذا يبدو وكأن الفاعل كان يكمن حول المكان منتظراً خروج الآنسة جيلكريست.

- هل تنوي أن تقابلها؟

- لقد كنت أفكر في هذا فعلاً.

- يسرني أن تفعل. لقد أخبرتنا كل شيء فيما أعتقد وأحياناً يمكن التقاط بعض البيانات من الأحاديث الخاصة.

فوعد المحامي بإبلاغه بجميع ما يقف عليه، وانصرف على الأثر وهو يفكر في تلك العبارات الغريبة التي تفوهت بها كورا عن القتيل في اليوم السابق لمقتلها هي، عندما قالت: "لقد مات رتشارد قتيلاً، أليس كذلك؟".

* * *

كانت الآنسة جيلكريست امرأة عادية باهتة الشخصية وقد خطّ الشيب شعرها بعد أن ناهزت الخمسين من عمرها، وقد استقبلت المحامي أنتويسل بحرارة قائلة: أنا مسرورة جداً بحضورك. إنني لا أعرف إلاّ القليل عن أسرة لانجنيز، وبالطبع ما كانت لي من قبل أية خبرة بجرائم القتل، ولهذا كان الموقف فظيعاً بالنسبة لي.

كان المحامي مقتنعاً بهذا الحديث لما رآه من بساطتها وصدق لهجتها، وقد تبعها إلى غرفة الجلوس وهو يشم رائحة نفّاذة للزيت المستخدم في الرسم. والواقع أن الصور الزيتية كانت منتشرة في أرجاء الفيلا وإن كان أغلبها قديماً قذراً. وقالت له تفسيراً لذلك: اعتادت السيدة لانجنيز شراء هذه الصور في المزادات، فقد كانت المسكينة كثيرة الاهتمام بها. إن الصور في المزادات رخيصة جداً فهي لم تدفع في أية صورة أكثر من جنيه، وأحياناً بضعة شلنات.

ولما رأت المحامي ينظر بارتياب إلى اللوحات التي

بدت له تافهة رغم أنه غير خبير في الفن أردفت تقول: أنا شخصياً لا أعرف كثيراً عن الفن، كان أبي رساماً ولم يكن رساماً ناجحاً. غير أنني اعتدت في صغري أن أعمل بعض الرسوم بالألوان المائية، وكنت أسمع كلاماً كثيراً عن الرسم بالألوان، ولهذا كانت السيدة لانجنيز مسرورة بوجود رفيقة لها تفهم منها كلما تحدثت معها عن الرسم. كانت تهتم كثيراً بالفن.

- أظن أنك عشت مع السيدة لانجنيز سنوات؟

- ثلاث سنوات ونصف السنة.

- هل كنت مرافقة لها وكنت تباشرين أعمال الفيلا؟

فأجابت وقد احمرّ وجهها قليلاً: نعم، كنت أقوم بالطهي مع بعض الأعمال الخفيفة، أما أعمال الخدمة فكانت تقوم بها بانتر من أهل القرية مرتين في الأسبوع. ولعلك ترى يا سيد أنتويسل أنني لم أفكر أن أكون خادمة بأي حال، فقد كان لي محل لشرب الشاي اسمه «شجرة الصفصاف»، وكان محلاً صغيراً أنيقاً أقمته بما ورثته عن أبي، غير أنني أفلست بسبب ظروف الحرب واضطررت إلى بيعه. وكان لا بد لي أن أبحث عن عمل مناسب، وبعد محاولات فاشلة وفقت إلى السيدة لانجنيز التي ارتاحت إلى وجودي معها كما راقني أن زوجها كان من أهل الفن.

واختتمت قصتها وهي لاهثة الأنفاس قائلة: إنما لا يصح أن أكثر من الحديث عن نفسي. الشرطة قدّرت ظروفي

وكانت ودودة نحوي، وقد جاء المفتش مورتون من إدارة الشرطة العامة وتفهم موقفي تماماً، بل إنه عرض عليّ أن أمضي ليلتي عند صديقتي ليك التي تقيم في أول الحارة، إلاّ أنني رفضت، وقد شعرت أن من واجبي أن أبقى هنا مع كافة متعلقات السيدة لانجنيز في الفيلا. لقد نقلوا الجثة بالطبع وأغلقوا غرفتها، وقد أخبرني المفتش أنه تقرر وجود شرطي في المطبخ طول الليل بسبب تهشم زجاج النافذة، فقلت للمفتش إنني أشعر بأنني سأكون بخير في غرفتي. وإن كنت أعترف لك يا سيد أنتويسل أنني دعمت باب الغرفة من الداخل بخزانة الملابس.

فسارع المحامي يشجعها قائلاً: كل ما أريده هو أن أعرف ما تستطيعين أن تذكريه لي عن السيدة لانجنيز في الفترة السابقة للفاجعة.

- هذا طبيعي يا سيدي، ويمكنك أن تؤكد لأقاربها أنه بصرف النظر عن متاعبها في تلك الليلة بعد عودتها من الجنازة -طبقاً لما حدثتُ به مفتش الشرطة- فإنها كانت سعيدة عموماً، وكانت تتطلع إلى تقبل المسألة في ثقة وتلهف.

فقال المحامي وهو يختار أسئلته بإمعان: ألم تذكر أحداً من أقاربها على وجد التحديد؟

- لا، لا أظن.

- ألم تتكلم بأي شيء عن وفاة أخيها؟ عن السبب مثلاً؟ عن أي شيء من هذا القبيل؟

- كلا. لقد كان مريضاً بصفة دائمة، وإن كنت أعترف بأن وفاته المفاجئة أدهشتني، فقد كان يبدو في صحة جيدة.

فسارع أنتويسل يقول: هل رأيته، متى؟

- عندما جاء إلى هنا لزيارة السيدة لانجنيز، وكان ذلك منذ ثلاثة أسابيع.

- وهل بقي هنا فترة؟

- لا، جاء للغداء فقط. وكانت زيارته مفاجئة ولم تكن السيدة لانجنيز تتوقعها. وأظن أنه كان هناك خلاف عائلي، فهي لم تره منذ سنوات حسب ما أخبرتني.

- نعم، هو ذلك.

- الزيارة أثّرت في نفسها كثيراً، ربما لأن أخاها جاء لزيارتها وربما لما رأت من شدة مرضه.

- هل كانت تعرف أنه مريض؟

- نعم، أتذكر هذا جيداً. والحقيقة أنني كنت أسأل نفسي إن كان السيد أبرناثي يعاني من عدم اتزان عقله. فقد كان لي عمة...

لكن المحامي تخلص برفق من قصة عمتها قائلاً: هل قالت السيدة لانجنيز شيئاً جعلك تظنين أنه يعاني من خلل في عقله؟

- نعم. السيدة لانجنيز قالت شيئاً مثل: "المسكين رتشارد... إن موت ابنه مورتيمر قد جعله يشيخ كثيراً. إنه يبدو أقرب إلى الخرف. لقد كثرت أوهامه عن تعرضه للاضطهاد وعن وجود مَن يعمل على تسميمه".

أثار هذا الكلام أشد القلق في نفس المحامي بصرف النظر عن ثرثرة الآنسة جيلكريست. كان المحامي موقناً أن صديقه الحميم رتشارد بعيد عن كل أسباب الخرف والهذيان، فقد ظل متمتعاً بكامل صفاته العقلية إلى آخر حياته.

وانسحب المحامي وهو يتنفس الصعداء لكي يقابل مديراً في البنك ويجري مشاورات أخرى مع المفتش مورتون.

* * *

الفصل الخامس

مساء ذلك اليوم تلقى المحامي أنتويسل وهو في بيته مكالمة تليفونية شخصية عاجلة من مقاطعة يوركشير. وكان المتكلم هو مود زوجة تيموزي، شقيق رتشارد الراحل. قالت له وصوتها يعبر عن القلق عبر أسلاك التليفون: الحمد لله أنني تمكنت من الاتصال بك أخيراً . إن تيموزي في حالة فظيعة، إن الخبر المنشور عن كورا قد أزعجه بصورة شنيعة.

- هذا مفهوم.

- إنني في قلق شديد من أجل تيموزي. لقد أجبرته على ملازمة الفراش ولكنه يصر على إقناعك بضرورة الحضور إلى هنا لمقابلته، فهو يريد أن يعرف أشياء كثيرة: هل سيكون هناك تحقيق رسمي؟ ومَن يجب أن يحضره؟ ومتى يمكن تشييع الجنازة بعد انتهاء مثل هذا التحقيق؟ وهل أعربت كورا عن أية رغبة في أن تدفن جثتها؟ وهل تركت وصية ما؟

- نعم، هناك وصية. وقد أوصت بأن يكون تيموزي هو منفذ الوصية.

- لكنني أخشى ألا يقوى تيموزي على احتمال شيء كهذا.

- إن مكتبنا سوف يتكفل بكافة الإجراءات، أما الوصية فهي بسيطة جداً. لقد تركت الصور التي رسمتها مع مشبك مرصع لمرافقتها الآنسة جيلكريست، والباقي لسوزان.

- لسوزان؟ ولماذا سوزان بالذات؟ لا أظن أنها رأت سوزان في حياتها منذ أن كانت طفلة على أي حال.

- أظن أنها فعلت ذلك بسبب ما قيل من أن سوزان قد تزوجت زواجاً لم يحز رضا العائلة.

فقالت مود ساخرة: حتى جريجوري بانكس، زوج سوزان، أفضل ألف مرة من بيير لانجنيز.

وصمتت برهة ثم أردفت تسأل: هل معنى هذا أن سوزان سوف تنال الإيراد الذي تركه رتشارد لكورا؟

- كلا، فرأسمال هذا الإيراد سوف يقسم طبقاً لما جاء في وصية رتشارد. إن كورا المسكينة لم تترك سوى مئات قليلة من الجنيهات وأثاث فيلا، وبعد خصم الديون وبيع الأثاث فلا أظن أن الباقي سيزيد عن خمسمئة جنيه.

واستطرد المحامي يقول: سوف يكون هناك تحقيق

رسمي بالطبع، وقد حدد له يوم الخميس القادم. وإذا وافق تيموزي فسوف ينيب مكتبنا المحامي الشاب لويد للحضور نيابة عن الأسرة. أنا آسف إذا كان سيترتب على هذا بعض التشهير.

- إن الموقف كله يبدو شاذاً، ألا يمكنك الحضور عندنا يا سيد أنتويسل؟

لزم المحامي الصمت برهة. إن الدعوة لم تكن غير مرغوبة ولهذا قال في النهاية: سأحاول.

* * *

رحب جورج كروسفيلد بالمحامي أنتويسل بحرارة، وإنما في شيء من الدهشة. فقال المحامي يفسر سبب زيارته للشاب: لقد جئت تواً من قرية لتشت سانت ماري.

- إذن فهي خالتي كورا حقاً؟ لقد قرأت عن الحادث في الجرائد إلا إنني لم أصدق وظننت أنه اسم مشابه.

- هل تفكر في اتهام شخص معين؟

فرد عليه المحامي قائلاً: لا، أبداً.

وتوقف المحامي برهة ثم أردف قائلاً: سوف تمضي فترة قبل إتمام تسوية التركة. هل من المناسب أن تحصل على سلفة مقدماً؟

- الحقيقة أنني كنت على وشك أن أثير هذه النقطة،

والواقع أنني كنت في البنك اليوم وطلبت إليهم الاتصال بك لتسوية تجاوز في الرصيد. ثم استطرد وهو يضحك ضحكة تعبر عن القلق: الحقيقة أنني لم أكن موفقاً في استثماراتي في الفترة الأخيرة، لقد جازفت في بعض المضاربات.

وفجأة قال المحامي: لقد حاولت الاتصال بك في اليوم التالي للجنازة، ولكن يظهر أنك لم تكن في المكتب.

- أحقاً؟ لم يخبروني. لقد ذهبت إلى ميدان سباق الخيل في هورست بارك وراهنت هناك مرتين، ومع أن الربح لم يزد عن خمسين جنيهاً إلاّ أنه كان لا بأس به، ففيه نوع من المساعدة.

- صدقت. ثم سوف يأتي إليك مبلغ إضافي نتيجة لموت خالتك كورا. وعلى فكرة، هل تذكر اسم الحصانين الرابحين؟

- دعني أتذكر. آه، هما جايمارك وضفدعة. نعم، لن أنسى الاسمين بحال.

فضحك المحامي العجوز ضحكته الجافة ثم استأذن في الانصراف.

* * *

قالت روزا موند وهي تستقبل المحامي بدون حماسة ظاهرة: إننا نرحب بك طبعاً إلاّ أن الوقت لا يزال مبكراً.

وراحت تتثاءب بشدة فقال المحامي: الساعة الآن الحادية عشرة صباحاً.

فتثاءبت روزا مرة ثانية وقالت بلهجة الاعتذار: كانت عندنا حفلة ساهرة في الليلة الماضية، ولا يزال مايكل يشعر بتعب فظيع.

وظهر زوجها مايكل شان الممثل الوسيم، وكان يرتدي روباً أنيقاً. ولم يفت المحامي أن يرى زجاجات الشراب والكؤوس وأعقاب السجائر وهي متناثرة هنا وهناك. وقالت روزا وهي تنظر إلى زوجها الوسيم: إنه لحظ رائع أن يترك لنا خالي رتشارد تلك الثروة في هذا الوقت بالذات.

ولاحظ المحامي نظرة الاستياء التي بدت في وجه مايكل، إلا أن روزا استطردت تقول: وذلك لأن أمامنا الآن فرصة نادرة لاختيار المسرحية التي نريدها، وفيها دور رائع لمايكل ودور صغير لي. إنها تدور حول واحد من أولئك المجرمين الشبان الذين هم في داخلهم قديسون، وهي مملوءة بأحدث الأفكار العصرية.

ولم يشأ المحامي أن يعقّب على هذا الهراء، بينما قال الزوج والاستياء ظاهر في وجهه: السيد أنتويسل لا يريد أن يسمع أسطواناتك المتتابعة يا روزا، اصمتي لحظة ودعيه يشرح لنا الغرض من زيارته.

فقال المحامي: هناك بعض المسائل تحتاج إلى تسوية. لقد وصلت تواً من قرية لتشت سانت ماري.

- إذن فهي خالتي كورا التي قُتلت؟ لقد قرأنا الخبر في الجرائد. مسكينة خالتي كورا، عندما نظرت إليها في الجنازة ذلك اليوم ورأيت ما هي عليه من البلاهة فضلت أن تكون في عداد الأموات. ثم هزت رأسها واستطردت قائلة: جريمتا قتل واحدة بعد الأخرى... هذا شيء كثير جداً!

- لا تكوني بلهاء يا روزا، إن خالك رتشارد لم يمت مقتولاً.

وهنا تدخل المحامي قائلاً: لقد عدتما إلى لندن بعد الجنازة، أليس كذلك؟

- نعم، عدنا بنفس القطار الذي كنت أنت فيه.

- بالطبع، بالطبع. لقد سألت هذا السؤال لأنني حاولت الاتصال بكم تليفونياً في اليوم التالي، حاولت هذا مرات في الواقع إلا أنني لم أجد رداً.

- أنا في شدة الأسف. ماذا كنا نفعل في ذلك اليوم؟ كنا في المنزل هنا حتى حوالي الظهر، أليس كذلك؟ ثم خرجت أنت يا مايكل لمحاولة الاتصال بالمخرج المسرحي روزنهايم، وبعدها ذهبت لتناول الغداء مع أوسكار. أما أنا فخرجت لشراء بعض الملابس، ولم أتمكن من لقاء صديقتي جانيت كما تواعدنا من قبل. نعم، لقد أمضيت ساعات طيبة في التفرج على محلات الأزياء، وبعد ذلك تناولنا العشاء سوياً ثم عدنا إلى هنا في نحو العاشرة مساء على ما أظن.

فقال مايكل وهو ينظر ساهماً إلى المحامي: حوالي هذا الوقت. ما الذي كنت تريده من الاتصال بنا يا سيدي؟

قال المحامي: لإجراءات متعلقة بالتركة وأوراق تحتاج إلى إمضاءات.

قالت روزا موند: هل سنحصل على الميراث الآن أم ستمضي أجيال؟

فأجاب المحامي: أخشى أن أقول إن الإجراءات القضائية تتأخر بعض الشيء.

فبدا الانزعاج على وجه روزا موند وقالت: لكن ألا يمكننا الحصول على سلفة مقدماً؟ مايكل قال إن هذا ممكن، والحقيقة أن هذه المسألة بالغة الأهمية بسبب المسرحية.

فقال المحامي: من السهل إعطاؤكم بعض المال كسلفة.

* * *

لم تكن سوزان بانكس في مثل جمال بنت خالتها روزا موند، إلاّ أنها كانت ذات شخصية قوية استهوت المحامي أنتويسل وهو جالس يستمع إلى حديثها المنفعل عن خالتها، ويجلس عن كثب زوجها جريجوري الضئيل الجسم منكمشاً على نفسه باهت الشخصية. حتى إن المحامي لم يتمالك أن أعجب من أمرها: كيف أصرت على الزواج برجل كهذا رغم

معارضة الأسرة، وما الذي جذبها إليه؟ إلا أن يكون غموض المرأة وطبيعتها المحيرة فيما يختص بمن تميل إليهم من الرجال.

راحت سوزان تندد بأمثال هذه الجرائم الوحشية وتحمل على الشرطة حملة شعواء رغم دفاع أنتويسل، وقد قالت أخيراً: ما رأيك في مرافِقة كورا؟ ألم يكن لديها دافع القتل؟ هل تركت لها كورا شيئاً؟

- مجرد مشبك مرصع لا يساوي كثيراً وبعض لوحات مرسومة عن قرى الصيادين ليست لها سوى قيمة تذكارية.

- لا بد أن يكون هناك دافع للقتل، اللهم إلا إذا كان القاتل مخبولاً.

فقال المحامي ضاحكاً: إن الشخص الوحيد الذي كان عنده دافع للقتل هو أنتِ يا عزيزتي سوزان.

ولأول مرة تحرك جريجوري وتكلم كأنما صحا من نومه، فقد لمعت عيناه فجأة بضوء كريه وهو يقول: ما هذا الحديث؟ ما علاقة سوزان بالحادث؟ ماذا تعني بمثل هذا الحديث؟

فقال المحامي: الواقع أن كورا أوصت بتركتها لك يا سوزان، وإنما بالنسبة لسيدة ترث آلاف الجنيهات فإن إضافة بضع مئات من الجنيهات إليها لا يمكن أن تمثل دافعاً لارتكاب جريمة.

فقالت سوزان بدهشة: هل تركت لي أموالها؟ يا للغرابة! لكنها لم تكن تعرفني، لماذا فعلت هذا؟

- أظن أنها سمعت إشاعات عن قيام مصاعب بخصوص زواجك، ولما كانت هي قد صادفت مثل هذه المصاعب عند زواجها فأعتقد أن شعورها كان متماثلاً. ولكن ما هي مشروعاتك للمستقبل؟

- إنني أفكر في ابتياع محل معين بشارع كارديجان، أظن أن باستطاعتك تقديم سلفة لي، فلا بد لي من دفع عربون.

فقال المحامي: هذا مستطاع. ثم قال: لقد اتصلت تليفونياً في اليوم التالي للجنازة إلا أنني لم أجد أي رد، فقد خطر لي أنكم ربما تحتاجون إلى سلفة واعتقدت أنكم غادرتم لندن.

فقالت بسرعة: آه، لا، كنا هنا طول اليوم ولم نخرج على الإطلاق.

وقال جريجوري برقة: أظن أن تليفوننا حدث به عطل في ذلك اليوم.

وفجأة قالت: كيف عرفت خالتي كورا بأمر قراننا؟ لقد عُقد في مكتب المسجل المدني ولم نبلغ أحداً إلا فيما بعد.

- أظن أن رتشارد ربما أخبرها. لقد عملت وصيتها منذ حوالي ثلاثة أسابيع وكانت قبل ذلك لصالح إحدى

الجمعيات الخيرية، وكان ذلك تقريباً في الوقت الذي ذهب فيه رتشارد لزيارتها.

وهنا بدا الانزعاج على وجه سوزان وقالت: هل ذهب خالي رتشارد لزيارتها؟ لم تكن عندي أدنى فكرة عن هذا !

فقال المحامي: ولا أنا.

- إذن فقد حدث هذا عندما...

- عندما ماذا؟

فأجابت: لا شيء ، لا شيء.

* * *

الفصل السادس

قالت مود ترحب بالمحامي أنتويسل على محطة السكة الحديدية: كان كرماً منك أن تحضر. أؤكد لك أن هذه الزيارة محل تقدير مني أنا وزوجي تيموزي، والحقيقة أن وفاة أخيه رتشارد كانت أسوأ شيء أثرّ في صحته.

وقادته إلى سيارة عتيقة لم تتحرك إلاّ بعد محاولات شتى من جانبها، وقالت معتذرة: هذه الملعونة أتعبتني أثناء عودتي من تشييع الجنازة، فقد تعطلت في الطريق حتى سرت على قدميّ مسافة أميال إلى أقرب قرية واضطررت إلى المبيت في الفندق الصغير هناك حتى يتم إصلاحها. ولا شك أن هذا الغياب قد أزعج تيموزي جداً، ولم أجد بداً من الاتصال به تليفونياً لأخطره أنني لن أتمكن من العودة إلاّ في اليوم التالي. إنه ينزعج كثيراً من هذه المفاجآت، حتى إن الإنسان يضطر إلى إخفاء بعض الأمور عنه خوفاً على صحته. إنما هناك أشياء لا يمكن كتمانها ولا حيلة فيها، مثل مقتل كورا. لقد اضطررت إلى إرسال الدكتور بارتون طبيب العائلة له لإعطائه بعض المسكنات. مسكينة

كورا! رغم بلاهتها فإنها انتهت نهاية غير معقولة.

- ألم يكن لها بعض الأصدقاء المقربين؟ أعني من الفنانين أو الموسيقيين المهووسين، أو أي شيء من هذا القبيل؟ شخص من هذا النوع سمحت له بالدخول عندها ثم قتلها من أجل النقود.

- إن وجه الغرابة في هذا هو وقوع الجريمة في وضح النهار، فمثل هذه الجرائم لا تقع إلاّ ليلاً.

فقال المحامي: لو وقع الحادث ليلاً لكانت هناك امرأتان.

- آه، تقصد مرافقتها؟ على كل حال الأسلم للفاعل لو كان يقصد السرقة أن يفعل هذا بعد خروج المرأتين معاً، ولذلك فإن هذه الجريمة تبدو في نظري لا معنى لها.

* * *

نهض تيموزي من مقعده ومدّ يده إلى ضيفه قائلاً: أشكرك لحضورك يا أنتويسل.

كان مليء الجسم يشبه أخاه رتشارد شبهاً قوياً، غير أن ملامح وجهه كانت تعبر عن ضعف الإرادة، وكانت علامات التذمر هي السمة الغالبة عليه. وأضاف يقول محذراً: يجب ألا أجهد نفسي، فقد حتم عليّ الطبيب هذا. إنه يشير عليّ دائماً بتجنب القلق.

- ولكن لو حدثت في أسرته جريمة قتل لكان أول من يستسلم للقلق.

- كانت صدمة لي أصابتني بما يشبه الصرع لمدة عشرين دقيقة. لا بد لك أن تشرف على كل شيء بالنيابة عني يا أنتويسل، فليس في قدرتي أن أذهب إلى التحقيق الرسمي ولا أن أتعرض لمتاعب من أي نوع بسبب تركة كورا. إنني أريد أن أنسى المسألة كلها. وبهذه المناسبة، ما هو مصير نصيب كورا في تركة رتشارد؟ سوف يؤول إليّ فيما أظن؟

- إن المبلغ المخصص ريعه لكورا يؤول إليك وإلى أبناء وبنات الأخوات بالتساوي.

فقال تيموزي وقد احتقنت وجنتاه اهتياجاً: لكنني أقرب الأقرباء إليها، أنا شقيقها الوحيد الحي!

فأخذ المحامي يشرح له بدقة تفاصيل شروط وصية رتشارد أبرناثي، مذكراً إياه برقة أنه أرسل إليه نسخة من الوصية، فقال تيموزي متناسياً واجب الشكر: لا تنتظر مني أن أفهم كل ذلك اللغو القضائي. إنني لم أصدق هذا عندما عادت مود وأخبرتني بملخص الوصية. نعم، إن نصيبي من التركة سوف يمكنني الآن من الوقوف على قدميّ وإصلاح المنزل والحديقة واستعادة الخدم، ولكنني أصارحك بأن شروط وصية رتشارد قد جرحت شعوري بشدة. أنا أبرناثي صميم وأنا آخر أصلاب الأسرة، وكان يجب ترك الإشراف الكامل لي.

ومضى تيموزي يضرب على هذه النغمة في انفعال ظاهر وقد نسي مرضه حتى اعتدل في مقعده وبدا صحيحاً معافى، وأخيراً قالت مود بحزم: أظن أن السيد أنتويسل قد بقي معك مدة كافية، لا بد لك من الراحة الآن.

* * *

سافر أنتويسل إلى لندن بقطار الصباح المبكر في اليوم التالي، وعندما وصل إلى منزله اتصل تليفونياً بأحد أصدقائه بعد تردد لم يطل مداه.

* * *

الفصل السابع

قال المحامي أنتويسل لمضيفه بحرارة بعد أن فرغا من تناول طعام العشاء: لا أستطيع أن أعبر لك عن مدى سروري بدعوتك لي. إن هذه الوليمة الحافلة تعبر عن كرم فرنسي.

فقال هيركيول بوارو وهو يشير إلى مقعد وثير لكي يجلس فيه ضيفه: أنا بلجيكي، ولكنني فرنسي في معدتي. والحقيقة أن الإنسان في سني تكون متعته الوحيدة في الحياة هي المائدة، ومن حسن الحظ أن لي معدة جيدة.

- آه، لكنني أحسدك على هذا الأسلوب الشهي. ترى كيف تحصل على مثل هذا اللحم الممتاز الذي يذوب تحت الأسنان؟

فقال بوارو ضاحكاً: إن لي صديقاً يشتغل جزاراً، وقد وفقت إلى حل بعض مشاكله. وإعراباً عن امتنانه لي فإنه يرعاني فيما يتصل بشؤون المعدة.

- حل المشاكل؟ ليتك لم تذكّرني بالمهمة التي جئت من أجلها. إنها ثقيلة على نفسي ولا أعرف من أين أبدأ

القصة. وتنهد واستطرد قائلاً: لا أدري إن كان دوري هنا هو دور المغفل الذي يجسم الأمور ويجعل من الحبة قبة، غير أنني سوف أضع الوقائع أمامك وأود أن أعرف رأيك في النهاية.

وتمهل المحامي برهة ثم أخذ في سرد قضيته بأسلوبه المنظم ومنطقه القانوني، مما كان موضع اهتمام وتقدير الرجل القصير الكهل ذي الرأس الشبيه بالبيضة.

وساد الصمت بعد أن فرغ المحامي من كلامه وتأهب للرد على الأسئلة، فقد كان بوارو يستعرض في ذهنه الوقائع التي سمعها، ثم قال في النهاية: يبدو أن المسألة واضحة، فقد قام الشك في ذهنك أن صديقك رتشارد أبرناثي قد يكون مات مقتولاً، وهذا الشك أو هذا الافتراض يستند إلى أساس واحد فقط هو العبارات التي قالتها كورا أبرناثي في جنازة رتشارد أبرناثي. فإذا استبعدنا هذه العبارات لا يبقى لدينا شيء، وكون أن كورا ذاتها ماتت مقتولة في اليوم التالي ربما يكون من قبيل المصادفة المحضة. نعم، إن رتشارد أبرناثي توفي فجأة، غير أنه كان تحت إشراف طبيب مشهور كان يعرفه جيداً ولم تقم شبهات عند هذا الطبيب، وقد أصدر شهادة بالوفاة. هل دفن رتشارد أو أحرقت جثته؟

- بل أحرقت جثته بناء على طلبه.

- وهذا يعني أن طبيباً ثانياً قد وقع شهادة الوفاة بإمضائه. إذن فإننا نعود إلى النقطة الجوهرية، وهي ما قالته كورا

لانجنيز. لقد كنت هناك وسمعتها، لقد قالت: "لقد مات رتشارد مقتولاً، أليس كذلك؟".

- هذا ما قالته.

- والنقطة الجوهرية هي أنك تعتقد أنها قالت الحقيقة.

- نعم، هو ما أعتقده.

- لماذا؟

- لماذا؟!

ردد المحامي العبارة في شيء من الحيرة، فقال بوارو: نعم، لماذا؟ هل السبب لأنك تشعر في قرارة نفسك بقلق من كيفية وفاة رتشارد؟

فهزّ المحامي رأسه قائلاً: لا، لا، ليس هذا بأي حال.

- إذن فالسبب هو كورا نفسها، أكنت تعرفها جيداً؟

- لم أرها منذ أكثر من عشرين سنة.

- هل كان يمكن أن تعرفها لو كنت صادفتها في الشارع؟

فتأمل المحامي برهة ثم أجاب: ربما كنت أمر بجانبها في الشارع دون أن أعرفها، لقد كانت بنتاً نحيلة عندما رأيتها لآخر مرة ثم تحولت إلى امرأة قوية في متوسط العمر، لكن لو أنني تحدثت معها وجهاً لوجه عندئذٍ لعرفتها. وحين رأيتها أخيراً كانت تصفف شعرها بنفس طريقتها الأولى وهي

الشعر المقصوص فوق الجبين بخط أفقي منتظم، وكانت لها طريقتها الخاصة في التحديق إلى الإنسان من خلال خصلة شعرها كحيوان متردد، وكانت لها خاصية أخرى، هي اندفاعها في الحديث بصورة مفاجئة مع إمالة الرأس إلى جانب وإطلاق الحديث الصارخ.

- إذن فقد كانت هي كورا ذاتها التي عرفتها منذ سنوات، وكانت على حالتها من الصراحة المحرجة. والآن أخبرني: عندما قالت كورا ما قالته كان هناك نوع من الاحتجاج الجماعي، أهذا صحيح؟

- صحيح تماماً.

- وبعد ذلك ارتبكت وأحجمت، وتراجعت عن موقفها قائلة (طبقاً لما استطعت أنت أن تتذكره) كلاماً مثل: "غير أنني كنت أظن مما قاله لي رتشارد".

فأومأ المحامي برأسه قائلاً: ليتني كنت أستطيع أن أتذكر بوضوح أكثر، لكنني متأكد من هذا بصورة إجمالية. إن العبارات التي استخدمتها هي: "رتشارد أخبرني" أو "إن رتشارد قال"...

- وفي اليوم التالي تموت كورا مقتولة. وهنا تسأل نفسك: أيمكن أن يكون هذا من قبيل السبب والمسبب؟

تململ المحامي في مقعده ثم أجاب: أظن أن هذا يبدو شيئاً مسرفاً في الخيال.

فقال بوارو: أبداً. إذا سلمنا بأن الافتراض الأصلي صحيح فهو شيء منطقي. إن الجريمة الكاملة، أو جريمة قتل رتشارد أبرناثي، قد ارتُكبت، وقد سار كل شيء على أحسن ما يرام، وفجأة يبدو أنه يوجد شخص عنده علم بالحقيقة. ومن الواضح أن هذا الشخص يجب إسكاته بأسرع ما يستطيع.

- إذن فأنت تظن أنها جريمة قتل؟

قال بوارو: إنني أظن يا عزيزي مثل ظنك بالضبط، وهو أن هناك قضية للبحث والتحقيق. هل اتخذت إجراءات ما؟ هل تحدثت عن هذه المسائل مع الشرطة؟

- كلا. لقد بدا لي أن شيئاً كهذا يستحيل أن يؤدي إلى نتيجة طيبة. إن مركزي هو أنني أمثل الأسرة، وإذا كان رتشارد أبرناثي قد قتل فيبدو أن هناك طريقة واحدة تمّ بها هذا.

- بالسم؟

- تماماً، وقد تمّ حرق الجثة ولا يوجد الآن أي دليل متيسر. ولكنني قررت أنه لا بد أن يرتاح بالي أنا شخصياً من هذه الناحية، وهو السبب الذي جعلني أحضر إليك يا بوارو.

- من كان في القصر وقت وفاته؟

- رئيس خدم عجوز كان في خدمته منذ سنوات،

وطاهية وخادمة. وربما يبدو أنه لا بد أن يكون أحدهم هو بالضرورة القاتل.

- آه، لا تحاول أن تمنع عني رؤية الحقائق. لقد عرفت كورا أن رتشارد مات مقتولاً، وهي ترتضي أن تشترك في عملية الصمت والكتمان حين تقول: "أظن أنكم جميعاً على حق". إذن فلا بد أن يكون المقصود هو أحد أفراد الأسرة، شخص لا يستصوب اتهامه علناً، ولولا ذاك لما ارتضت كورا -مع شدة حبها لأخيها- أن تدع القاتل المختفي يظل مجهولاً. أنت توافق على ذلك ولا شك؟

فقال المحامي: أصارحك أن ذلك هو ما استخلصته لنفسي، رغم أن كل فرد من أفراد الأسرة قد استطاع أن يبرئ نفسه.

- لعلك قمت فعلاً ببعض الخطوات؟

- خطوات قليلة. وكان غرضي بصفة أساسية هو التوضيح والحصر. إنه لشيء كريه إلى نفسي أن أفكر في أن واحداً من أفراد أسرة أبرناثي يصبح قاتلاً، وما زلت لا أعتقد هذا بتاتاً، وكل ما قصدته هو أنه ربما كان باستطاعتي ببعض الأسئلة أن أبرئ أفراداً معينين منهم بما يبعد عنهم كل شك، وربما كلهم. وعلى كل حال فإن المحاولة التي قمت بها كانت يسيرة جداً، وهي: ماذا كان أفراد أسرة أبرناثي يفعلون في فترة بعد ظهر اليوم الذي قُتلت فيه كورا لانجنيز؟

قال بوارو: جميل، وماذا كانوا يفعلون؟

- جورج كروسفيلد، ابن أخت رتشارد، كان في ميدان سباق الخيل في هورست. وروزا ماري، ابنة أخته، خرجت للتجول بمتاجر لندن، وزوجها مايكل كان يتفق مع المخرج على المسرحية التي يقوم ببطولتها. وسوزان، ابنة الأخت الثانية، وزوجها جريجوري بانكس، مساعد الصيدلي، لزما منزلهما طول النهار. وتيموزي أبرناثي، شقيق رتشارد والمعروف باسم المريض بصورة دائمة كان في منزله في مقاطعة يوركشير، وكانت زوجته مود عائدة بسيارتها من قصر أندربي.

وتوقف المحامي، فنظر إليه بوارو وأومأ برأسه موافقاً وقال: نعم، هذا هو ما قالوه، أكله صحيح؟

- لا أدري يا بوارو، فالمجال هنا متسع للصدق والكذب، ولكنني سأذكر لك نتائج معينة استخلصتها لنفسي: قال جورج إنه كان في ميدان سباق الخيل غير أنني لا أظنه ذهب فعلاً. لقد قال لي إنه راهن على جوادين فازا في السباق، وحين سألته عن اسميهما أجاب بلا تردد. ولما بحثت المسألة بنفسي فيما بعد تبين أن الجوادين اللذين ذكرهما قد فاز أحدهما فقط ولم يصل الثاني حتى إلى نهاية السباق.

- شيء طريف. هل كان جورج في حاجة إلى المال في فترة وفاة خاله؟

- حاجته إلى المال كانت ماسة.

وتوقف المحامي مرة أخرى ثم عاد وقال: أما عن روزا موند فهي فاتنة ولكنها مهووسة، ولا أعتقد أن امرأة مثلها تستطيع أن تحمل بلطة وتهشم بها رأس كورا. وزوجها مايكل شان الممثل شاب ذو طموح ولكنه معتد بنفسه كثيراً. لا أعرف عنه كثيراً، وليس هناك سبب يجعلني أرتاب في إقدامه على ارتكاب جريمة وحشية أو القيام بعملية تسميم عن عمد وقصد، ولكن إلى أن يثبت بالدليل أنه فعل حقاً ما يقول إنه فعله فلا أستطيع استبعاده من دائرة الشك والاتهام.

- وماذا عن بنت الأخت الأخرى؟

- سوزان؟ إنها تختلف تماماً عن روزا موند. إنها فتاة ذات شخصية واقتدار، وهي وزوجها كانا في البيت في ذلك اليوم. وقد قلت لهما كذباً إنني حاولت الاتصال بهما تليفونياً بعد ظهر ذلك اليوم فقال زوجها جريجوري في الحال إن التليفون كان به عطل طول النهار وإنه حاول الاتصال بشخص ما ولم يوفق.

- إذن فالموقف غير قاطع هنا أيضاً. أنت لا تستطيع استبعادهما من دائرة الشك كما كنت ترجو. ما هو وصف الزوج؟

- من الصعب أن أصفه لك. إن له شخصية منفرة، وإن كنت لا أستطيع أن أقول بالضبط لماذا وجدت ذلك الانطباع في نفسي من ناحيته. أما عن سوزان...

- نعم؟

- إن سوزان تذكرني بخالها رتشارد، فلها قوة شخصيته ومقدرته الذهنية، وربما كان الوهم هو الذي يصور لي أنه ينقصها ما كان لصديقي رتشارد من طيبة القلب ودفئه.

فقال بوارو: والآن، حدثني عن زيارتك لأفراد الجيل الأكبر سناً في الأسرة.

وصف أنتويسل زيارته لتيموزي وزوجته مود بشيء من التفصيل. ثم تولى بوارو تلخيص النتيجة قائلاً: إذن فإن مود بارعة في قيادة السيارات وإصلاحها؟ وتيموزي ليس في حقيقته بالمريض الدائم كما يظن بينه وبين نفسه، فهو يخرج أحياناً للرياضة سيراً وفي مقدرته أن يقوم بعمل شاق؟ ثم هو أناني وكان يحسد أخاه رتشارد على نجاحه وتفوقه؟ وماذا عن المستفيد الأخير من وصية رتشارد؟

- هيلين؟ أرملة ليو شقيق رتشارد؟ إني لا أشك فيها لحظة واحدة. وعلى أي حال فمن السهل إثبات براءتها، فقد بقيت في قصر أندربي مع ثلاثة من الخدم.

فقال بوارو: حسناً يا صديقي. أعترف لك بأن هذه القضية قد أثارت اهتمامي لأنها ليست سهلة، ولأن وقائعها مشوشة مبهمة. هناك مسألة يحسن يا صديقي أن تقوم بها، وبعدها سوف أتكفل أنا بكل شيء. المسألة التي أعنيها هي أن تقابل الطبيب الذي أشرف على علاج رتشارد أبرناثي. هل تعرفه؟

- معرفة سطحية.

- وما هي معلوماتك عنه؟

- إنه طبيب باطني متوسط العمر كفء، وكان وثيق الصلة برتشارد، وهو شخص لا غبار عليه بحال.

- إذن قابله، فسوف يتحدث معك بحرية أكثر مما يتحدث معي. سله عن مرض رتشارد، استفهم منه عن الأدوية التي كان رتشارد يتناولها وقت وفاته وقبلها، حاول أن تعرف منه إن كان رتشارد قد ذكر له شيئاً عن توهمه بدس سم له. وبهذه المناسبة، هل الآنسة جيلكريست متأكدة أن رتشارد قد ذكر كلمة «التسمم» في كلامه مع أخته كورا؟

جعل أنتويسل يفكر برهة ثم أجاب قائلاً: هذه هي العبارة التي استخدمتها، لكنها من نوع الشهود الذين يغيرون الألفاظ التي يستخدمونها غالباً.

- هل خطر لك يا صديقي أن الآنسة جيلكريست هذه قد تكون هي ذاتها معرضة للخطر؟

- لا أستطيع القول أن هذا خطر ببالي فعلاً.

- أظن الآن يا صديقي أنه من الأفضل لها ألا تبقى وحدها في تلك الفيلا.

- أعتقد أن سوزان سوف تذهب إلى هناك، فهي تريد أن تحصر متعلقات كورا.

- مفهوم، مفهوم. لا بأس يا صديقي، افعل ما طلبت

منك. ويمكنك أيضاً أن تبلّغ هيلين عن احتمال ذهابي إلى القصر. سوف نرى، من الآن فصاعداً سأركز اهتمامي في هذه القضية.

وأخذ بوارو يفتل شاربيه بنشاط كبير.

* * *

الفصل الثامن

وضعت الآنسة جيلكريست قبعتها السوداء على رأسها بإحكام وأدخلت تحتها خصلة من شعرها الأشيب كانت بارزة.

كان التحقيق الرسمي في مقتل كورا لانجنيز سيتم في الساعة الثانية عشرة، ولم تكن الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة والثلث. كان بودها أن تكون ملابسها كلها سوداء لولا أن مواردها لم تكن تسمح بذلك، فاكتفت بما تيسر من الملابس القاتمة وراحت تدور بنظرها في أرجاء غرفة النوم الصغيرة النظيفة وجدرانها التي علقت عليها صور تمثل ميناء بريكسهام وميناء بولفكسان. وفوق الخزانة الصغيرة وُضعت صورة باهتة في إطار أنيق تمثل مشرب الشاي المسمى «شجرة الصفصاف»، وقد اختصته الآنسة جيلكريست بنظرة إعزاز خاصة ولم تتمالك أن تنهدت. ثم أفاقت من استغراقها على صوت جرس الباب الخارجي في الطابق الأرضي فغمغمت قائلة: يا إلهي! ترى من يكون؟

وخرجت من غرفتها وراحت تهبط الدرج العتيق، وفتحت

الباب لتجد أمامها امرأة شابة مرتدية ملابس سوداء أنيقة وبيدها حقيبة ملابس صغيرة. ولما لاحظت المرأة نظرة الانزعاج البادية في وجه الآنسة جيلكريست سارعت تقول: الآنسة جيلكريست؟ أنا سوزان بانكس ابنة أخت السيدة لانجنيز.

- آه، نعم، طبعاً، لم أكن أعرف. تفضلي بالدخول يا سيدة بانكس، لم أعرف أنك سوف تحضرين التحقيق وإلاّ كنت أعددت لك بعض القهوة أو الشاي.

فقالت سوزان بنشاط: لا أريد أي شيء، أنا آسفة جداً لأنني أفزعتك.

- الحقيقة أن هذا ما حدث إلى حد ما، فقد كنت متوترة الأعصاب طول ساعات الصباح، ومنذ نصف ساعة فقط رن الجرس ولم أكد أقوى على فتح الباب، وهو ما كان غباوة مني لأن من غير المحتمل أن يعود القاتل إلى هنا، ولم يكن القادم سوى راهبة تجمع التبرعات لملجأ أيتام. أرجو أن تجلسي يا سيدة بانكس، هل جئت بالقطار؟

- لا، بل جئت بسيارتي، وحين وجدت الطريق ضيقاً تركتها في محجر قديم وجدته بالقرب من هنا.

وراحت سوزان تدير نظرها في الغرفة ثم قالت: مسكينة خالتي كورا، لقد تركت كل ما كان عندها لي كما تعلمين.

- نعم، السيد أنتويسل أخبرني بهذا. أظن أنك ستكونين راضية عن الأثاث.

فقالت سوزان: لن أحتاج إلى شيء من الأثاث فعندنا منه ما يكفي، ولذلك سأعمل على عرضه للبيع في المزاد، إلاّ إذا أحببتِ شيئاً منه.

- شكراً جزيلاً يا سيدة بانكس، فلقد أخذت صورها الجميلة مع مشبك جميل مرصع طبقاً لما جاء في الوصية كما تعلمين. هل تحبين أن تفحصي متعلقاتها بعد التحقيق؟

- لقد فكرت في البقاء هنا يومين لكي أفحص المتعلقات وأتمم الإجراءات اللازمة.

- تقصدين أن تبيتي هنا؟

- نعم، هل هناك صعوبة في هذا؟

- لا يا سيدة بانكس بالطبع، سوف أضع ملاءات نظيفة على سريري وباستطاعتي أن أنام على هذه الأريكة وأنا مرتاحة.

- لكن هناك غرفة خالتي كورا، باستطاعتي أن أنام فيها أيضاً.

- ألا تمانعين في ذلك؟

- تقصدين لأنها قُتلت في تلك الغرفة؟ أنا لا أهتم بشيء كهذا. إن أعصابي قوية يا آنسة جيلكريست، فهل الغرفة صالحة الآن؟

- نعم يا سيدة بانكس. كل الملاءات أرسلت للكي

وتوجد ملاءات إضافية، لكن تعالي لتري بنفسك.

وصعدت الدرج تتبعها سوزان. كانت الغرفة التي قتلت فيها كورا لانجنيز نظيفة ولا أثر بها للجو المشحون الذي يتوقعه الإنسان، وكان أثاثها خليطاً من الطراز الحديث الذي يعبر عن الطابع الخاص لصاحبته في غرابة أطوارها. ورأت سوزان فوق رف المدفأة صورة زيتية تبين امرأة توشك أن تدخل الحمام فقالت الآنسة جيلكريست: هذه صورة رسمها زوج السيدة لانجنيز، وهناك كثير من هذه الصور في غرفة الطعام.

- كم هي شنيعة!

- الحقيقة أنني لا أهتم بمثل هذا الاتجاه الفني في الرسم، إنما السيدة لانجنيز كانت فخورة جداً بزوجها الفنان وكانت تظن أنهم يبخسونه قدره.

- وأين الصور التي رسمتها خالتي كورا؟

- في غرفتي. هل تحبين أن تريها؟

والواقع أن الآنسة جيلكريست أخذت تعرض كنوزها الفنية معجبة مفاخرة، ولاحظت سوزان أن خالتها كورا كانت مغرمة فيما يبدو بالمناطق الساحلية، فقالت الآنسة جيلكريست: نعم، هو كذلك، لقد عاشت سنوات كثيرة مع السيد لانجنيز في قرية صغيرة للصيادين في مقاطعة بريتاني الفرنسية، والحقيقة أن مشاهد سفن الصيد لها دائماً طابع تقليدي جميل، أليس كذلك؟

ونظرت إلى ساعتها فقالت سوزان في الحال: نعم، يجب أن نذهب الآن إلى التحقيق. هل المكان بعيد؟ هل أحضر سيارتي؟

- إنه لا يبعد أكثر من خمس دقائق سيراً.

وهكذا توجهتا إلى مقر التحقيق في قاعة البلدية، وهناك وجدتا المحامي أنتويسل الذي جاء بالقطار.

كان هناك جمع كبير من الأغراب، ولم يكن التحقيق الرسمي مثيراً، وقد بدأ التحقيق بشهادة الشهود للتعرف على الشخصية المتوفاة ثم التقرير الطبي عن طبيعة الجروح التي تسببت في موتها. وبدا من الأقوال أنه لم تحدث مقاومة، وكان المرجح أن المتوفاة كانت تحت تأثير منوم حينما هوجمت وأنها قد أُخذت على حين غرة. وقيل إن الوفاة حدثت فيما بين الساعة الثانية والساعة الرابعة والنصف على وجه التقريب.

وشهدت الآنسة جيلكريست بأنها هي التي اكتشفت الجريمة. وتلت ذلك شهادة مفتش الشرطة مورتون وبعض رجال الشرطة، ثم تولى المحقق تلخيص وقائع القضية، وفي النهاية أصدر المحلفون قرارهم بأن الواقعة هي: "جريمة قتل بفعل شخص أو أشخاص مجهولين".

هكذا انتهت إجراءات التحقيق، وخرجوا من القاعة تتلقفهم كاميرات الصحفيين. وأسرع أنتويسل فصحب سوزان والآنسة جيلكريست إلى فندق كنجز آرمز الصغير حيث كان

قد رتب طعام الغداء لثلاثتهم في حجرة خاصة خلف البار، وقال المحامي: لم أعرف أنك ستحضرين اليوم يا سوزان، فقد كان يمكن أن نحضر معاً.

- أعرف أنني قلت إنني لن أحضر، إنما خيّل إليّ أنه من عدم المروءة ألا يحضر أحد من الأسرة، فقد كانت روزا موند مشغولة ببروفة في المسرح وخالي تيموزي مريض كما تعلم، وهكذا كان لا بد من حضوري. جريجوري اضطر إلى عدم مبارحة عمله في الصيدلية، والحقيقة أننا شرعنا في إعداد معمل صغير لأدوات ومستحضرات التجميل.

وفي أثناء الحديث قال المحامي بلهجة أقرب إلى الاعتذار: كنت أفكر في موضوع خالك تيموزي، إنني أشعر بقلق من أجله.

فقالت: لو كنت مكانك لما قلقت، أنا شخصياً لا أعتقد أن به أي مرض بل هو مريض بالوهم.

- نعم، نعم، صدقت. أعترف أن صحته لم تكن هي التي تشغلني وإنما هي حالة السيدة تيموزي. فمود قد سقطت عن الدرج والتوت قدمها وهي طريحة الفراش، وخالك في حالة شنيعة لأنه سيضطر إلى العناية بها بدلاً من أن تعتني هي به.

- هذا جزاؤه.

- نعم، صدقت. لكن هل ستجد امرأة خالك المسكينة

من يعتني بها فعلاً مع عدم وجود خدم في منزلهم العتيق؟

فقالت: الحقيقة أن الحياة ستكون شاقة جداً بالنسبة إليهما.

وبعد الغداء غادروا الفندق الصغير بحذر، لكن مندوبي الصحف كانوا قد تفرقوا فيما يبدو، فأوصل المحامي المرأتين حتى باب الفيلا وعاد إلى الفندق حيث كان قد حجز لنفسه غرفة.

* * *

وفي الفيلا بينما كانت الآنسة جيلكريست تعد الشاي دق جرس الباب الخارجي، فخرجت سوزان إلى الصالة وفتحت الباب. كان الزائر رجلاً متقدماً في السن رفع قبعته محيياً وقال ببشاشة: أظنك السيدة بانكس؟

- نعم.

- اسمي جوثري، ألكسندر جوثري. لقد كنت صديقاً قديماً للسيدة لانجنيز، وأنت ابنة أختها، السيدة سوزان أبرناثي، كما أظن؟

- بالضبط.

- إذن فما دمنا نعرف من أنت يمكنني أن أدخل؟

- بالطبع.

وتبعها إلى غرفة الجلوس وهو يقول: هذه مناسبة مؤسفة جداً. لقد كنت قريباً من هنا ورأيت أن أقل ما يمكن أن أفعله هو أن أحضر التحقيق، ثم الجنازة فيما بعد بالطبع. مسكينة كورا! لقد عرفتها يا سيدة بانكس منذ الأيام الأولى لزواجها. كانت فتاة متحمسة وكانت تؤمن بالفن، وكانت متعلقة بزوجها الفنان، وقد قطعت صلاتها بأسرتها لأن الأسرة لم تقدّر بيير كما يجب، وكانت تمتاز بظرفها رغم أننا كنا ننزعج أحياناً إزاء صراحتها اللاذعة، سواء كان ذلك عن سذاجة منها أو عن عمد.

قدمت للضيف سيجارة لكنه هز رأسه قائلاً: أشكرك يا عزيزتي، أنا لا أدخن. أصارحك أنني قد جئت وأنا أشعر بتأنيب الضمير، فمنذ أسابيع ماضية كنت وعدت كورا بالحضور لزيارتها، وكنت في المعتاد أقوم بزيارتها مرة في السنة، فقد تملكتها هواية شراء الصور في المزادات وكانت تريد أن تريني بعض الصور باعتبار مهنتي كخبير فني، وقد كتبت إليّ أخيراً رسالة تفيض حماسة أبلغتني فيها أنها اشترت في أحد المزادات تحفة إيطالية من الفن القديم، وقد وعدتها بالحضور لرؤيتها.

قالت مشيرة إلى الحائط خلفه: أظن أنها الصورة المعلقة هناك.

فنهض السيد جوثري ووضع نظارته على عينيه وتقدم إلى موضع الصورة، وما لبث أن قال أخيراً: تافهة، مسكينة! ومع ذلك فإن هذه الهواية كانت تعطيها حافزاً في الحياة،

وأحمد الله أنني لم أضطر إلى تخييب ظنونها. والآن يا عزيزتي السيدة بانكس، لا أريد أن أضيع من وقتك أكثر من هذا.

وجاءت الآنسة جيلكريست تحمل أقداح الشاي، ولكن الرجل اعتذر واستأذن بالانصراف، فساعدته جيلكريست في ارتداء معطفه ورافقته إلى الباب الخارجي.

وعادت الآنسة جيلكريست إلى الغرفة وبيدها طرد صغير قائلة: لا بد أن موزع البريد قد جاء إلى هنا ونحن في التحقيق. لقد حشر العلبة في فتحة صندوق البريد ولكنها سقطت في الركن خلف الباب. ترى... آه، طبعاً، لا بد أنها كعكة الزفاف.

ومزقت الآنسة جيلكريست الغلاف بحركة تعبّر عن سعادتها، وإذا بداخلها علبة صغيرة بيضاء مربوطة بشريط فضي.

- هي فعلاً كما قلت.

ورفعت الشريط فكان بداخل العلبة كعكة دسمة محلاة بالجوز والسكاكر، وتناولت البطاقة الملحقة بها وقرأت الاسم: «جون وماري». من يكونان يا ترى؟ من المضحك عدم كتابة اللقب مع اسمي العروسين!

وراحت الآنسة جيلكريست وهي سعيدة بالهدية تراجع أسماء جون وماري من معارفها. قالت: ربما كانت ماري

ابنة دوروثي، لكنني لم أسمع أنها خطبت أو تزوجت. وهناك جون بانفيلد الصغير، أظن أنه كبر وأصبح في سن الزواج. أو ربما كانت ابنة أسرة بانفيلد، لكن هذه كان اسمها مرغريت... لا عنوان ولا أي شيء. على أي حال لا بد أن أتذكر في وقت ما.

وحملت الصينية وذهبت إلى المطبخ، فاستفاقت سوزان من خمولها قائلة: لا بأس، أظن أنه من الأفضل أن أذهب لوضع السيارة في مكان مناسب.

* * *

الفصل التاسع

قادت سوزان سيارتها من المحجر القديم الذي تركتها فيه من قبل وذهبت بها إلى القرية. كانت هناك محطة بنزين لكن لا يوجد موقف، وأشير عليها أن تذهب بالسيارة إلى الفندق الصغير، وهناك وجدت موقفاً تركتها فيه إلى جانب سيارة كبيرة كانت تستعد للخروج، وكان لهذه السيارة سائق خاص وبداخلها رجل متقدم في السن أجنبي الهيئة ذو شارب كبير وهو ملتف بملابس ثقيلة.

وعادت سوزان إلى الفيلا حيث استقبلتها الآنسة جيلكريست قائلة بارتياح ضايقها: الحمد لله أنك عدت بخير. ثم أضافت مستفهمة: ما رأيك في المعكرونة للعشاء؟ إنني أفتخر بأن هذا الطبق المخصوص من مبتكراتي.

- كما تحبين، ولكني لا أريد كثيراً.

كانت الآنسة جيلكريست فعلاً طاهية بارعة، وقد أسعدها إطراء سوزان لمقدرتها. وبعد الطعام جاءتها بالقهوة وقدمت لها قطعة من كعكة الزفاف. ولما اعتذرت سوزان قالت

الآنسة جيلكريست بإلحاح وهي تتذوقها: إن طعمها لذيذ جداً.

واستقر تخمينها في النهاية عند اسم ماري ابنة صديقتها إيلين التي كانت تعرف أنها مخطوبة، وهكذا ارتاح بالها في النهاية. وتركتها سوزان تسترسل في ذكرياتها البعيدة حتى خلدت إلى الصمت في النهاية قبل أن تفاتحها في الموضوع الذي كان يعنيها. إن الفترة التي تعقب العشاء وبالقرب من نار المدفأة هي ولا شك لحظة مناسبة للتبسط والحديث، ولهذا قالت سوزان أخيراً: لقد جاء خالي رتشارد إلى هنا قبل وفاته، أليس كذلك؟

- فعلاً.

- متى كان هذا بالضبط؟

- دعيني أتذكر. لا بد أن هذا كان قبل أسبوعين، لا، نحو ثلاثة أسابيع قبل إعلان نبأ وفاته.

- هل بدا أنه كان مريضاً؟

- لا، لا أظن أنه كان مريضاً بمعنى الكلمة. كانت حالته تدل على القوة والنشاط. وقد دهشت السيدة لانجنيز عندما رأته وقالت: "آه! هذا أنت يا رتشارد؟ بعد كل هذه السنين؟"، فقال لها: "جئت كي أرى بنفسي كيف تسير أحوالك". فردت عليه السيدة لانجنيز قائلة: "أنا بكل خير".

وأظنها كانت مستاءة بعض الشيء لزيارته لها هكذا فجأة

بعد طول المقاطعة. وعلى أي حال فإن السيد أبرناثي قال لها: "لا فائدة من اجترار الأحقاد القديمة. أنت وتيموزي وأنا نُعتبر الأشقاء الثلاثة الباقين على قيد الحياة من أفراد أسرتنا الكبيرة، وتيموزي نفسه لا يتكلم مع أحد إلا عن صحته. يبدو لي أن بيير أسعدك في حقك... والآن، أيكفيك هذا؟". والحقيقة يا سيدة بانكس أن السيد أبرناثي كان ظريفاً في أسلوبه رغم تقدم سنه بالطبع.

فسألتها سوزان: كم بقي هنا؟

- بقي حتى موعد الغداء.

- وهل بدا أنهما أمضيا الوقت في تفاهم؟

- نعم، فعلاً.

وصمتت سوزان برهة ثم عادت تقول: هل دهشت خالتي كورا عندما توفي؟

- دهشت فعلاً، فقد كانت مفاجأة، أليس كذلك؟

- نعم. ألم يلمّح لها بصورة ما إلى حالته المرضية؟

فتوقفت الآنسة جيلكريست برهة قبل أن تجيب: لا، لكنها أشارت فعلاً إلى أنه كبر في السن، وأظنها ذكرت وصف «خرف الشيخوخة».

- لكن لا أظن أنك اعتقدت هذا في حالته؟

- الحقيقة أن مظهره لم يكن يدل على ذلك، لكنني لم

أتحدث معه كثيراً. طبيعي أنني تركتهما وحدهما.

- ما هي خططك بشأن المستقبل يا آنسة جيلكريست؟

- الحقيقة أنني كنت أنوي أن أكلمك في ذلك يا سيدة بانكس. لقد أخطرت السيد أنتويسل أن لي رغبة في البقاء هنا حتى تتم تسوية كل شيء.

- أعرف هذا، وأنا شاكرة لك.

- وأود أن أسألك كم يستغرق هذا، لأنه لا بد لي بالطبع أن أبدأ في البحث عن مكان آخر.

ففكرت سوزان برهة ثم قالت: في خلال يومين يمكن إتمام كل شيء، ثم نخطر السمسار بعد ذلك كي يتولى عملية البيع.

- هذا كرم منك يا سيدة بانكس. وهل يمكنني بدوري أن أطلب منك خطاب توصية يذكر فيه أنني كنت أعمل لدى قريبة لك وأن عملي كان مرضياً؟

- بالطبع، لا شك في ذلك.

ثم فجأة خطرت لها فكرة فغمغمت: بالطبع، هذا هو المطلوب.

ثم رفعت سوزان سماعة التليفون وطلبت مكالمة عن طريق البدالة، وبعد نحو ربع ساعة سمعت صوتاً يشوبه السخط يقول صاحبه: نعم، نعم. مَن هناك؟

- خالي تيموزي؟ أنا سوزان.

- سوزان؟ وماذا جرى؟ لماذا تتكلمين في هذه الساعة المتأخرة ليلاً؟

- الوقت لا يزال مبكراً.

- ليس مبكراً، لقد كنت في الفراش.

- أنت تذهب إلى الفراش باكراً، كيف حال خالتي مود؟

- تتكلمين بالتليفون لتسألي عن هذا؟ إن خالتك تعاني الآلام الشديدة ولا يمكننا أن نفعل شيئاً. ذلك الطبيب الأحمق يقول إنه لم يجد ممرضة، وكان يريد نقل مود إلى المستشفى لكنني عارضت في هذا. هناك امرأة مخبولة من أهل القرية تعمل الليلة عندنا، إلا أن اللعينة تقول إنها تريد العودة إلى زوجها. لا أعرف ماذا نستطيع أن نفعل في هذه الورطة؟

- من أجل هذا اتصلت بك تليفونياً يا خالي. هل تريد الآنسة جيلكريست؟

- من هي؟ لم أسمع عنها أبداً؟

- هي مرافقة خالتي كورا، إنها طيبة ومقتدرة.

- هل تستطيع أن تطبخ؟

- إنها طاهية ماهرة وبإمكانها أن تشرف على خالتي مود.

- هذا شيء جميل، ومتى تستطيع الحضور؟

- سأرتب أمورها بأقرب وقت، ربما بعد غد.

- أشكرك جداً، أنت طيبة يا عزيزتي.

وضعت سوزان سماعة التليفون وقالت للآنسة جيلكريست: هل تحبين أن تسافري إلى يوركشير للإشراف على خالتي؟ لقد وقعت والتوت قدمها وخالي مريض لا يستطيع مساعدتها بشيء، إنه مريض متعِب ولكن خالتي مود طيبة جداً. إنهم يحضرون من يساعدهم من القرية، وباستطاعتك أنت أن تقومي بالطهي والإشراف على خالتي مود.

فلم تتمالك الآنسة جيلكريست أن وقع منها فنجان القهوة في غمرة انفعالها وقالت: أشكرك من كل قلبي، هذا كرم منك. يمكنني أن أقول عن نفسي أن لي خبرة طيبة مع المرضى، وأنا متأكدة أنني سأرضي خالك وأعد له أطباق لحوم لذيذة. هذا فضل عظيم منك يا سيدة بانكس يقابل مني بالشكر والتقدير.

* * *

الفصل العاشر

تمددت سوزان في الفراش وانتظرت أن يأتيها النوم. كان يوماً حافلاً وكانت متعبة، ولم تكن تجد صعوبة في النوم في أي يوم من أيام حياتها الماضية. ومع ذلك فهي الآن ممددة في الفراش مستيقظة ساعة بعد ساعة وعقلها يدور ويدور. قالت من قبل إنها لا تمانع بالنوم في هذه الغرفة وفي هذا الفراش، الفراش الذي لقيت فيه كورا أبرناثي مصرعها. لا، لا، يجب أن تبعد عن ذهنها مثل هذه الأفكار. لطالما تباهت بأن أعصابها قوية، يجب ألا تفكر فيما حدث في هذه الغرفة منذ أقل من أسبوع. يجب أن يكون تفكيرها منحصراً في المستقبل، مستقبلها ومستقبل جريجوري.

إن المكان الذي استأجراه في شارع كاريجان بلندن مكان مثالي، الدور الأرضي كمعمل كيماوي لمستحضرات التجميل ومعرض للبيع والدور العلوي كمسكن، وبهذا يمكن أن تهدأ أعصاب جريجوري وتبعد عنه أعراض تلك الأزمة النفسية التي أزعجتها في وقت ما. إن هذه الأزمة كان يمكن أن تتكرر وتؤدي إلى أسوأ النتائج على حياتهما الزوجية لولا

وفاة خالها رتشارد التي جاءت في وقتها المناسب... ولكن ما هذا الذي سمعته؟ هذا صوت أنين بغير شك، أنين أو حشرجة خافتة، شخص ما يتوجع... شخص يحتضر!

همست سوزان لنفسها: لا يجب أن أستسلم للتصورات، لا يجب، لا يجب.

لكن الصوت عاد مرة أخرى، أقوى هذه المرة. هناك شخص يتوجع من شدة الألم. وأضاءت سوزان النور وجلست في الفراش وراحت تنصت.

* * *

كان الأنين صوتاً حقيقياً، وقد سمعته يأتي من خلال الحائط من الغرفة المجاورة.

وثبت سوزان من الفراش وألقت رداء فوق كتفيها، واتجهت إلى الباب وخرجت إلى الردهة حيث طرقت باب غرفة الآنسة جيلكريست لحظة ثم دخلت. كان النور مضاء في الغرفة، وكانت الآنسة جيلكريست جالسة في الفراش وقد بدت ممتقعة الوجه تتقلص سحنتها من شدة الألم.

هتفت سوزان: ماذا جرى يا آنسة جيلكريست؟ هل أنت مريضة؟

- نعم، لا أعرف ما هو، إنني...

وحاولت أن تنزل من الفراش ولكنها تملكتها نوبة قيء،

ثم هوت فوق الوسائد وغمغمت: من فضلك اطلبي الدكتور بالتليفون، لا بد أنني أكلت شيئاً.

- سأحضر لك شيئاً من بيكربونات الصودا ويمكننا استدعاء الطبيب في الصباح إذا لم تتحسني.

- لا. اطلبي الدكتور الآن، إنني أشعر أن حالتي فظيعة.

ذكرت الآنسة جيلكريست رقم التليفون، ورد على سوزان صوت يغلبه النعاس: من؟ جيلكريست؟ في ميدزلين؟ نعم، أعرف العنوان. سأحضر حالاً.

وكان الطبيب عند وعده، فلم تمضِ عشر دقائق حتى سمعت سوزان سيارته تقف في الخارجِ، فذهبت وفتحت الباب وشرحت الحالة للطبيب وهي تصعد معه قائلة: لا بد أنها أكلت شيئاً لم تحتمله معدتها، لكن حالتها سيئة جداً.

كانت تبدو على الطبيب دلائل الغيظ المكظوم لظنه أنه قد أوقظ من نومه ليلاً دون داعٍ قوي كما يحدث أحياناً، ولكن ما أن فرغ من فحص المرأة حتى تغيرت حالته، فأصدر إلى سوزان تعليمات موجزة ثم أسرع بالنزول إلى مكان التليفون. وعندما انضم إلى سوزان في غرفة الجلوس قال لها: لقد طلبت إرسال سيارة الإسعاف، لا بد من نقلها إلى المستشفى.

- حالتها سيئة إذن؟

- نعم. لقد أعطيتها حقنة مورفين لتخفيف الألم، ولكن يظهر...

وقطع كلامه، ثم أضاف قائلاً: ما الذي أكلته؟

- تناولنا معكرونة في العشاء مع مهلبية، ثم القهوة فيما بعد.

- هل أكلتما من نفس الطعام؟

- نعم.

- وأنت بخير؟ لا ألم ولا تعب؟

- نعم.

- ألم تتناول شيئاً آخر، سمكاً معلباً أو بعض السجق؟

- لا، لقد تناولنا الغداء في فندق كنجز آرمز بعد التحقيق.

وجاءت سيارة الإسعاف فنقلت الآنسة جيلكريست، ورافقها الطبيب. وقد أبلغ سوزان قبل ذهابه أنه سوف يتصل بها تليفونيا في الصباح. وبعد ذهابه صعدت سوزان إلى غرفة النوم، وفي تلك المرة لم تكد تضع رأسها على الوسادة حتى استغرقت في النوم.

* * *

شُيعت جنازة السيدة كورا لانجنيز واشترك فيها معظم

أهل القرية. وكانت سوزان والمحامي أنتويسل هما الوحيدان بالنيابة عن أسرة القتيلة، وحين سألها المحامي عن الآنسة جيلكريست شرحت له الظروف بعبارات سريعة هامسة فلم يتمالك أنتويسل أن رفع حاجبيه قائلاً: هذا حادث غريب.

- حالتها تحسنت صباح اليوم كما علمت من المستشفى. الناس عرضة لمثل هذه النزلات المعوية، ولكن بعضهم يجسمها.

فلم يقل المحامي كلاماً آخر، وكان مقرراً أن يعود إلى لندن بعد الجنازة مباشرة. وعادت سوزان إلى الفيلا فصعدت إلى غرفة كورا وأخذت تفحص أوراق القتيلة وترتبها، وقطع عليها هذا العمل حضور الطبيب. كانت تبدو عليه دلائل القلق، وقد رد على استفهام سوزان بأن السيدة جيلكريست تحسنت، ثم قال لها: سوف تغادر المستشفى بعد يومين، غير أنه كان من حسن الحظ أنني دعيت في الحال ولولا ذلك لكانت العواقب وخيمة.

- هل كانت حالتها سيئة إلى هذا الحد؟

- يا سيدة بانكس، أرجو أن تخبريني مرة ثانية عن كل ما أكلته وشربته السيدة جيلكريست أمس... كل شيء.

وصفت له سوزان ما طلب وصفاً دقيقاً، ولكن الطبيب هز رأسه غير مرتاح وقال: لا بد أن هناك شيئاً أكلته هي ولم تأكليه أنت؟

- لا أظن. كعك، مربى، شاي، ثم العشاء. لا، لا يمكنني أن أتذكر شيئاً آخر.

حك الطبيب أنفه وأخذ يتمشى في الغرفة جيئة وذهاباً، فقالت سوزان: أهو بالتأكيد شيء أكلته؟ أهو تسمم غذائي قطعاً؟

فنظر إليها الطبيب نظرة حادة، وما لبث أن حزم أمره وقال لها: هو تسمم بالزرنيخ.

- زرنيخ؟ أتعني أن أحداً قد دس لها الزرنيخ؟

- هذا ما يبدو.

- أيمكن أن تكون هي التي تناولته؟ أقصد...

- تقصدين الانتحار؟ لقد نفت هذا، وفضلاً عن ذلك فلو كانت تريد الانتحار لما اختارت الزرنيخ، هناك أقراص منومة في المنزل وكان بوسعها تناول كمية كبيرة.

- أيمكن أن يكون الزرنيخ قد انتقل إلى شيء مصادفة؟

- هذا ما كنت أسأل نفسي عنه، وإن كان هذا الاحتمال بعيداً، رغم أن هناك حالات من هذا القبيل. لكن إذا كنت أنت وهي أكلتما نفس الطعام...

وفجأة شهقت سوزان قائلة: أه، نعم! هناك كعكة الزفاف.

شرحت له سوزان ما حدث، فأصغى إليها الطبيب بعناية

ثم قال: غريب! وتقولين إنها ما كانت متأكدة من شخصية مرسل الكعكة؟ هل بقي منها شيء؟ هل العلبة التي أرسلت فيها موجودة؟

قاما للبحث معاً، وفي النهاية عثرا على العلبة البيضاء فوق طاولة المطبخ وفيها فتات من الكعكة. وأسرع الطبيب فحزم العلبة بعناية قائلاً: سأتولى أمر هذه العلبة. هل لديك فكرة أين وُضع غلاف الورق الذي لفت به العلبة؟

وفي هذه الحالة لم يصادفهما التوفيق، وقالت سوزان إنه ربما ألقي به في الموقد. قال لها الطبيب بلهجة استغربتها: لا أظنك ستسافرين من هنا الآن يا سيدة بانكس؟

- لا، سوف أقوم بفحص مخلفات خالتي، سأبقى هنا بضعة أيام.

- جميل. تعلمين أن الشرطة قد تحتاج لتوجيه بعض الأسئلة. ألا تعرفين أي شخص ربما كان يريد تدبير هذا العمل للآنسة جيلكريست؟

- في الحقيقة أنا لا أعرف عنها الكثير. كل ما أعرفه أنها كانت مع خالتي بضع سنوات.

وانصرف الطبيب وشيعته سوزان إلى الباب، ثم أحست بأن جو الفيلا حار فتركت الباب مفتوحاً وصعدت متمهلة إلى غرفة النوم لاستئناف مهمتها.

* * *

لم تكن كورا لانجنيز دقيقة في ترتيب أوراقها وأدواتها، وكان أكثرها صوراً فوتوغرافية قديمة وكراسات رسم. ولكن رسالة واحدة من بين الرسائل العديدة استرعت نظر سوزان فقرأتها مرتين، وكانت لا تزال تحدق في سطورها عندما سمعت خلفها صوتاً يخاطبها جعلها تصرخ رغماً عنها. كان صاحب الصوت يقول: وما الذي عثرت عليه هنا يا سوزان؟ آه! ماذا جرى؟

احمر وجه سوزان استياء. إن صرخة الانزعاج التي بدرت منها رغماً عنها قد جعلتها تشعر بالخجل، وقالت تفسر ما اعتراها: جورج؟ لشد ما أفزعتني!

فقال جورج كروسفيلد ابن خالتها باسماً: هذا ما يبدو.

- كيف دخلت إلى هنا؟

- كان الباب الخارجي مفتوحاً، هكذا دخلت. ولما لم أجد أحداً أمامي في الطابق الأرضي صعدت إلى هنا. أما إذا كان قصدك من السؤال هو كيف جئت إلى هذا الجزء من العالم فأقول إنني بدأت رحلتي صباح اليوم لحضور الجنازة.

- لم أرك بين المشيعين.

- سيارتي القديمة أفسدت خطتي. لقد تعطلت في الطريق، وحين تمّ إصلاحها كان موعد الجنازة قد فات، غير أنه بدا لي أنه لا بأس من مجيئي إلى هنا، فقد كنت

أعرف أنك موجودة. وتوقف ثم أضاف قائلاً: في الحقيقة لقد اتصلت بكم تليفونياً فأخبرني جريجوري أنك جئت إلى هنا لوضع اليد على الأغراض، فخطر لي أن أقدم مساعدتي.

فقالت سوزان: ألا يحتاجون إليك في محل عملك؟ أم أنك تستطيع التغيب أياماً كيفما تحب؟

- إن الجنازة دائماً عذر معترف به للتغيب، وهذه الجنازة حقيقية بما لا يدع مجالاً لأي شك.

راحت سوزان تنظر إلى جورج متأملة. إنها لم تشاهد ابن الخالة هذا كثيراً، وفي المرات التي قابلته فيها كانت تجد صعوبة في فهم نفسيته. قالت له: لماذا جئت إلى هنا حقيقة يا جورج؟

- ربما جئت لكي أقوم بعمل بوليس سري. لقد فكرت كثيراً في أمر الجنازة السابقة التي حضرناها معاً وفيما قالته كورا يومها، وجعلت أفكر هل كانت تلك العبارات الغريبة التي قالتها هي من نوع الثرثرة الفارغة التي لا معنى لها أم أنها تستند إلى أساس؟ ترى ما الذي تضمنته الرسالة التي رأيتك تقرئينها بإمعان عند دخولي؟

- هي رسالة خالي رتشارد إلى كورا بعد مجيئه إلى هنا لزيارتها.

- أفيها شيء مهم؟

- لا، ليس تماماً؟

- أيمكن أن أراها؟

ترددت سوزان لحظة، ولم تلبث أن وضعت الرسالة في يده الممدودة. وجعل يقرؤها بصوت منخفض وهو يمر ببعض عباراتها سريعاً: "سررت برؤيتك بعد كل هذه السنوات، رأيتك بخير، عدت إلى البيت بعد رحلة طيبة ولم أتعب كثيراً...". ولم يلبث صوته أن تغير فجأة وبدت فيه حدة وهو يقرأ: "أرجوك ألاّ تقولي شيئاً لأي إنسان بشأن ما قلته لك فقد تكون المسألة خطأ. أخوك المحب: رتشارد".

وتطلع جورج إلى سوزان قائلاً: ما معنى هذا؟

- إنه يحتمل أي معنى. قد تكون المسألة خاصة بصحته أو مجرد أقاويل تتصل بصديق مشترك.

- نعم، إنها تحتمل معاني كثيرة. إنها غير قاطعة إنما لها دلالات. ما الذي قاله لكورا؟ هل يعرف أحد ماذا قال لها؟

قالت سوزان ساهمة: الآنسة جليكريست قد تعرف، أظنها كانت تستمع لما دار بينهما.

- آه، نعم، مرافقة كورا. وأين هي بهذه المناسبة؟

- في المستشفى، مصابة بتسمم من الزرنيخ.

حملق جورج قائلاً: أتقولين حقاً؟

- نعم. أحدهم أرسل إليها كعكة زفاف مسممة.

فلم يتمالك جورج أن جلس على أحد المقاعد المجاورة للفراش وصفر قائلاً: يا إلهي! ما معنى هذا؟

* * *

في صباح اليوم التالي جاء مفتش الشرطة مورتون إلى الفيلا. كان رجلاً هادئاً في متوسط العمر إلاّ أن نظراته كانت تعبّر عن الدهاء، وقال مخاطباً سوزان: لا شك أنك أحطتِ بظروف الموضوع يا سيدة بانكس، وقد أخبرك الدكتور بروكتور بمسألة الآنسة جيلكريست. إن الفتات الذي كان باقياً من كعكة الزفاف قد تمّ تحليله وكشف عن وجود آثار سم الزرنيخ.

- إذن فقد أراد شخص ما أن يسممها عمداً؟

- هذا ما يبدو. إن الآنسة جيلكريست نفسها غير قادرة فيما يظهر على مساعدتنا. إنها تعيد القول بأن الحكاية مستحيلة وإنه لا يوجد أحد يمكن أن يفعل معها شيئاً كهذا. إنما هناك من فعل. ألا تستطيعين إلقاء الضوء على المسألة؟

فهزت سوزان رأسها قائلة: إنني عاجزة تماماً، ألا يمكنك أن تعرف شيئاً من ختم البريد ومن الخط الذي كتب به العنوان؟

- أنت نسيت فيما يظهر، فإن غلاف العلبة قد أُحرق في الغالب، وهناك شك فيما إذا كانت العلبة قد أرسلت عن طريق البريد أصلاً. إن أندروز سائق عربة البريد لا يستطيع

أن يتذكر أنه وزع هذه العلبة فعلاً، رغم أن منطقة توزيعه واسعة ولا يستطيع أن يجزم بشيء.

- إذن ما هو البديل لهذا؟

- البديل يا سيدة بانكس أنه قد استعملت ورقة لف قديمة كان عليها اسم وعنوان الآنسة جيلكريست أو خاتم بريد سابق، وأن العلبة قد حُشرت في صندوق البريد أو ألقيت باليد خلف الباب كي تخلق الانطباع بأنها جاءت بالبريد.

ثم أضاف يقول بلهجته العملية: هي فكرة بارعة تماماً، أعني اختيار كعكة الزفاف. إن النساء متوسطات الأعمار الوحيدات في الحياة لهن عاطفة ناحية كعكة الزفاف، ويسرهن أن يجدن من يتذكرهن، ولو أرسلت بدلها علبة من الحلوى فربما كانت تثير الشبهة.

- صدقت، فإن الآنسة جيلكريست بدت فعلاً مسرورة جداً بالهدية. هل كان في الكعكة سم يكفي للقتل؟

- من الصعب أن نتبين هذا حتى يتم التحليل الكامل، والمسألة تتوقف على ما إذا كانت الآنسة جيلكريست قد أكلت الكعكة كلها. هل يمكنك أن تتذكري؟

- لا، لست متأكدة. لقد عرضت عليّ قطعة منها وأنا رفضت، فأكلت جزءاً منها وقالت إنها لذيذة، وإنما لا أتذكر إن كانت أكلتها كلها أم لا.

- أود أن أصعد إلى الدور العلوي يا سيدة بانكس إذا لم يكن هناك مانع.

- طبعاً لا يوجد أي مانع.

وتبعته إلى غرفة الآنسة جيلكريست وهي تقول معتذرة: أنا آسفة لأن الغرفة في حالة فوضى، فلم أجد وقتاً لتنظيفها بسبب موعد الجنازة والمشاغل الأخرى، وبعد ذلك عندما جاء الدكتور بروكتور رأيت أنه ربما كان من الأنسب أن أترك الغرفة على حالتها.

فقال المفتش مورتون: كان هذا بعد نظر منك يا سيدة بانكس. ليس كل إنسان على مثل هذا الذكاء.

واقترب من الفراش ودس يده تحت الوسادة ثم أخرجها باحتراس وقد شاعت في وجهه ابتسامة بطيئة وقال: هذا هو المطلوب.

ووضع فوق الملاءة قطعة من كعكة الزفاف فقالت سوزان: يا للغرابة!

- لا غرابة في هذا. ربما كان جيلك أنت لا يفعل هذا، ففتيات جيلك لا يعولن كل التعويل على الزواج. إنما هذه عادة قديمة، تضع الفتاة قطعة من كعكة الزفاف تحت وسادتها ثم تحلم بعريس المستقبل.

- لكن من المؤكد أن الآنسة جيلكريست...

- إنها لم تخبرنا لأنها شعرت بسذاجتها وهي تفعل ذلك في سنها هذا، غير أنني فكرت في مثل هذا الاحتمال.

ثم علت وجهه مسحة من الجد وهو يضيف قائلاً: ولولا سذاجة هذه المرأة العانس لما كُتب لها أن تبقى على قيد الحياة. لكن من هذا الذي يحتمل أن يسعى لقتلها، ألا تعرفين؟

تلاقت عيناه بعينيها في نظرة فاحصة غريبة أشعرتها بالحرج، وقالت: لا، طبعاً لا أعرف.

فقال مفتش الشرطة باختصار: يبدو إذن أنه لا بد لنا من متابعة البحث والتحري.

* * *

الفصل الحادي عشر

جلس شخصان متقدمان في السن معاً في غرفة كان كل أثاثها من الطراز الحديث. كان كل شيء في الغرفة مربعاً لا استدارة فيه، الاستدارة الوحيدة كانت في شخص بوارو. كان بطنه وشارباه يبرزان في استدارة علوية مفتوحة دائرياً وكان رأسه يشبه البيضة في استدارته.

جلس بوارو يرشف شرابه المفضل وهو يتأمل مفكراً في ضيفه السيد غوبي. كان السيد غوبي ضئيل الجسم منكمشاً على نفسه حتى ليتعذر وصفه، إذ لم يكن فيه ما يوصف. وفي حديثه مع بوارو لم يكن ينظر إليه مباشرة، إذ لم يكن من عادته أن ينظر إلى أي شخص وهو يتكلم وإنما كان مركزاً نظراته في المدفأة. وكان السيد غوبي مشهوراً بتخصصه في الحصول على المعلومات، ولم يكن يعرفه سوى قلة من الناس. وكان الذين يستعينون بخدماته قليلين، غير أن هؤلاء القليلين كانوا عادة من كبار الأغنياء. ولا بد أن يكونوا كذلك لأن السيد غوبي كان شخصاً كبير الأجر غالي الثمن، وكان تخصصه هو جمع المعلومات بكل سرعة كما تقدم.

فبإشارة من يده كان ينطلق عشرات من الرجال والنساء، شيوخاً وشباباً، رجالاً ونساء، من كافة المهن والمراكز في الحياة، للسؤال والتحري وللبحث والاستقصاء. ثم يقدمون إليه خلاصة ما يجمعونه من معلومات.

كان السيد غوبي يقول لبوارو: لقد فعلت كل ما استطعت لأجلك. أطلقت الأولاد في عملية البحث والتحري، وقد فعلوا كل ما استطاعوا وبذلوا غاية جهودهم.

وأخرج من جيبه مفكرة صغيرة عتيقة، ثم أخذ يقلب صفحاتها قائلاً: إليك البيانات التي توصلوا إليها. لنبدأ بالسيد جورج كروسفيلد. إنه يهوى المقامرة، خصوصاً المراهنة على سباق الخيل، وهو ليس من العشاق المتيمين بالنساء. إنه يذهب إلى فرنسا بين وقت وآخر، خصوصاً مونت كارلو، حيث يمضي كثيراً من وقته في نادي القمار، ويكون في حوزته أحياناً أكثر من المبالغ المسموح له أن يسافر بها. ولم أبحث هذه النقطة بالتفصيل لأنها لم تكن هي ما تريده، إلاّ أنه لا يتورع عن مخالفة القانون، وبسبب اشتغاله في أحد المكاتب القضائية فإن له خبرة في هذه الأمور. وهناك شواهد على أنه قد انغمس في العهد الأخير في المضاربة في البورصة مستغلاً بعض الأموال الموجودة في عهدته، إلاّ أن الحظ لم يحالفه في الشهور الثلاثة الأخيرة حتى شوهد في المكتب وهو أقرب إلى السخط، ولكن بعد وفاة خاله تغير كل هذا وأصبح منتعشاً متفائلاً.

أما عن واقعة وجوده في ملعب فورست بارك لسباق

الخيل في ذلك اليوم فقد ثبت أن الواقعة كاذبة، فلم يره أحد هناك في ذلك اليوم، والغالب أنه راهن في مكتب من المكاتب الخارجية التابعة للملعب. ولم يثبت من التحريات أنه وصل إلى محطة سكة حديد تشولي، وهي أقرب محطة إلى قرية ليتشت سانت ماري. إن الأغراب يُعرفون بسهولة في هذه المحطات الصغيرة. وربما نزل في محطة مزدحمة وركب الحافلة، فالحافلات تكون مزدحمة غالباً، وهناك طرق كثيرة تؤدي إلى ليتشت سانت ماري. هناك طريق يؤدي إلى هذه القرية مباشرة، ولكن لم يشاهده أحد في ليتشت سانت ماري، غير أنه ليس من الصعب أن يذهب إلى القرية دون أن يراه أحد. وإذا صح أنه ذهب إلى الفيلا فعلاً فلم يكن من الصعب أن يغير شكله بحيث لا يبدو في هيئة جورج كروسفيلد المعتادة. وسوف أبقيه فترة تحت الملاحظة إذا لم يكن عندك مانع يا سيد بوارو.

قال بوارو: لك أن تفعل ذلك.

فلعق السيد غوبي إصبعه وقلب صفحة أخرى في المفكرة واستطرد يقول: بخصوص السيد مايكل شان. إنه معروف في دوائر المسرح وهو يبالغ في تقدير مواهبه الفنية ويريد أن يصبح من نجوم المسرح بسرعة، وهو يحب المال وينفق عن سعة وله جاذبية لدى النساء. وهو يقابل ممثلة تدعى سوريل دينتون كانت تمثل الدور الأول في المسرحية الاستعراضية التي اشترك فيها أخيراً، وزوجها لا يحبه كثيراً، وامرأته روزا موند لا تعرف شيئاً عن علاقته بتلك الممثلة.

وروزا موند نفسها تهوى التمثيل لكنها ليست ممثلة حقيقية. وكانت هناك إشاعة عن حدوث شقاق بينهما منذ فترة ليست بعيدة، لكن يبدو أن هذا الخلاف قد انتهى الآن وسوي أمره، سوي منذ وفاة السيد رتشارد أبرناثي.

قال السيد غوبي عبارته الأخيرة وهو يضغط على كلماتها، ثم استطرد يقول: في اليوم الذي قتلت فيه السيدة كورا، يقول السيد مايكل شان إنه قد قابل السيد روزنهايم والسيد أوسكار لويس للاتفاق بشأن المسرحية الجديدة. لكنه لم يقابلهما، بل أرسل إليهما برقية أعرب فيها عن أسفه لاضطراره إلى التخلف عن الموعد. أما الذي فعله في الواقع فهو فأنه ذهب إلى شركة إيميرالدو لتأجير السيارات واستأجر سيارة في نحو الساعة السادسة مساء. وبفحص عداد المسافة يبدو أنه قد قطع بالسيارة ما يقارب عدد الأميال التي نبحث عنها، ولم يرد تأكيد بأن أحداً رآه في قرية ليتشت سانت ماري. لم يشاهدوا سيارة غريبة هناك في ذلك اليوم، وإن كان من المستطاع ترك السيارة في أكثر من مكان على مسافة ميل أو نحو ذلك. ثم إنه يوجد هناك محجر قديم على بعد مئات قليلة من الياردات من الحارة التي بها الفيلا، وهناك ثلاثة بلدات صغيرة حول القرية يمكنك أن تترك سيارتك في أحد شوارعها الجانبية دون أن تهتم بك الشرطة. هل نبقي السيد مايكل شان تحت المراقبة؟

- بكل تأكيد يا سيد غوبي.

- والآن نتكلم عن السيدة شان، أو روزا موند سابقاً.

قالت إنها خرجت إلى السوق في ذلك اليوم، وطبيعي أن تفعل هذا بعد أن عرفت في اليوم السابق أنها ستنال نصيبها من التركة. وقد دلت التحريات على أن حسابها في البنك كان منتهياً في الفترة الماضية، وقد أرسلت في إثرها واحدة من فتياتي الخبيرات بشؤون المسرح فاستدرجَتْها بطريقتها الخاصة لمعرفة ما فعلته بالضبط في ذلك اليوم. ولكن السيدة شان كانت من النوع الغامض الذي لا يؤكد ولا ينفي شيئاً، ماذا تفعل مع امرأة كهذه؟

قال بوارو بانفعال: لا شيء. لقد عرفت نساء من هذا النوع. لا بأس، استمر.

ومرة أخرى راجع السيد غوبي مفكرته وأخذ يقول: عن السيد والسيدة جريجوري بانكس اللذين قالا إنهما لازما البيت طول النهار. إن سوزان لم تلزم البيت في الحقيقة، بل ذهبت إلى الموقف وأخرجت سيارتها وقادتها حوالي الساعة الواحدة. ولم تُعرف وجهتها، وعادت حوالي الساعة الخامسة، ولم يُعرف من العداد المسافة التي قطعتها ولم يهتم أحد في الموقف بأن يعرف. أما عن السيد جريجوري بانكس فقد اكتشفنا أشياء غريبة. سأعترف أولاً أننا لم نتوصل إلى معرفة ما فعله في اليوم المذكور، غير أنه لم يذهب إلى عمله، والظاهر أنه طلب إجازة ليومين بسبب الجنازة. ومنذ ذلك الحين فإنه قد انقطع عن عمله دون اهتمام بمراعاة شعور أصحاب الصيدلية الكبيرة التي يعمل فيها. وهم بدورهم غير متحمسين بخصوصه، والظاهر أنه كانت له أطوار غريبة.

وعلى أي حال، فإننا كما قلت لم نعرف ماذا فعل في اليوم الذي قتلت فيه السيدة لانجنيز. إنه لم يخرج مع امرأته، ويحتمل أنه بقي في شقتهما الصغيرة طول النهار. ليس في العمارة السكنية بواب ولا يُعرف إذا كان السكان موجودين أو غير موجودين، لكن تاريخه الماضي يثير الاهتمام. فمنذ حوالي أربعة أشهر، أي قبل تعرفه بامرأته، كان في إحدى المصحات العقلية. لم يكن به مرض عقلي بالمعنى المفهوم وإنما نوع من الانهيار العصبي، والظاهر أنه أخطأ في تركيب دواء لمريضة، وقد شفيت المريضة واعتذر أصحاب الصيدلية ولم تُرفع الدعوى ضده. الصيدلية لم تفصله ولكنه استقال، وقد أدى الحادث إلى تحطيم أعصابه وقتها. والغريب أنه قال في المصحة للطبيب المعالج إنه قد تعمد الخطأ في تركيب الدواء، فقد أهانته المرأة في مرة سابقة واتهمته بأنه أهمل في تركيب دواء لها، فاغتاظ منها وتعمد أن يدس لها في الدواء مادة خطرة المفعول، وكان تعليله لذلك أنه أراد معاقبتها لإهانتها له.

وعلى أي حال فقد عولج في تلك المصحة العقلية وأُخرج منها باعتباره قد شفي، والتقى وقتها بالآنسة أبرناثي لقاء أدى إلى الزواج. واستطاع الالتحاق بالصيدلية التي يعمل فيها حالياً بعد أن ذكر أنه أمضى فترة خارج إنجلترا. ولم يؤخذ على تصرفاته شيء في هذه الصيدلية، غير أن أحد زملائه قال إن له طباعاً غريبة تبدو آثارها في تصرفاته أحياناً. وقد أشاروا في هذه المناسبة إلى قصة زبون للصيدلية

قال له يوماً مداعباً: "ليتك تصف لي شيئاً لتسميم امرأتي... ها ها ها"! فما كان من جريجوري إلاّ أن قال له بلهجة هادئة ناعمة: "بإمكاني هذا، وهو يكلفك مئتي جنيه". فشعر الرجل بالحرج واعتبر الموضوع على أنه مداعبة. وربما تكون المسألة مداعبة فعلاً، لكن في رأيي يا سيد بوارو أن جريجوري ليس من نوع أصحاب المداعبات.

قال بوارو: إن ما يدهشني فيك يا صديقي هو قدرتك على استقاء المعلومات، ومعظمها أسرار شخصية.

فغمغم السيد غوبي وهو يجول بنظره في أرجاء الغرفة: إن لي أساليبي الخاصة. ثم تابع يقول: والآن ننتقل إلى أصحابنا أهل الريف. السيد تيموزي وزوجته مود، إنهما يقيمان في بيت خاص أنفقا عليه كثيراً، وحالتهما المالية متعبة بسبب الضرائب وسوء الحظ في سوق الأوراق المالية. والسيد تيموزي يتمتع بحالته الصحية المعتلة، وأقول «يتمتع» لأنه سليم البنية ويأكل بشهية، ولكنه يحب أن يجري الجميع من حوله ويبالغوا في الاهتمام به ويلبوا طلباته. وليس في البيت خدم سوى امرأة تعمل نهاراً، وهو لا يسمح لأحد بالدخول إلى غرفته إلا بعد أن يدق الجرس. وكانت حالته النفسية سيئة صباح اليوم التالي للجنازة، وقد بقي وحده في البيت ولم يشاهده أحد من الساعة ٩,٣٠ حتى صباح اليوم التالي.

- وأخبار زوجته مود؟

- لقد انصرفت بالسيارة من قصر أندربي في الوقت الذي ذكرته أنت، وبعد ذلك وصلت سيراً على الأقدام إلى مرأب صغير في ناحية كاشتون وقالت إن سيارتها قد تعطلت على مسافة ميلين، فذهبت مع الميكانيكي في سيارته، وبعد أن فحص سيارتها قال إنه لا بد من قطرها إلى المرأب لأن عملية الإصلاح قد تستغرق النهار بطوله. فاستاءت السيدة كثيراً، ولكنها ذهبت إلى فندق صغير ورتبت الأمر على أن تبيت ليلتها فيه، ثم طلبت بعض الشطائر قائلة إنها تود مشاهدة المنطقة الريفية المجاورة، ولم تعد إلى الفندق إلاّ في وقت متأخر جداً في ذلك المساء.

- ورأيك في توقيت خطواتها؟

- لقد أخذت الشطائر في الساعة الحادية عشرة. وإذا كانت قد خرجت إلى الطريق الرئيسي فقد كان بإمكانها بعد مسيرة في المنطقة الريفية أن تستقل القطار المتجه إلى بلدة ريدنج، ولا أريد أن أتوسع في التفاصيل، لكن من الممكن إتمام العملية إذا أراد أحد ارتكابها في فترة العصر.

فقال بوارو باهتمام لا يخلو من المرارة: هذا بديع، كل شيء مع أصحابنا ممكن وجائز. يا إلهي! ألا يمكن أن نستبعد أحداً منهم من دائرة الشك والاشتباه؟ وما رأيك في هيلين أبرناثي، الأرملة؟

- إنها سعيدة ورقيقة أيضاً، وكان رتشارد أبرناثي يحبها كثيراً، وقد ذهبت للإقامة عنده مدة أسبوعين قبل وفاته.

- بعد ذهابه إلى قرية لتشت سانت ماري لزيارة أخيه؟

- لا، قبل ذلك بفترة قصيرة. لقد تناقص إيرادها كثيراً منذ الحرب، وقد باعت بيتها في إنجلترا واستأجرت شقة صغيرة في لندن، ولها فيلا خاصة في جزيرة قبرص تمضي فيها فترة من السنة، وهناك شاب صغير من أبناء عمومتها تنفق عليه للمساعدة في تعليمه، كما يوجد رسام شاب أو اثنان تساعدهما حالياً بين وقت وآخر.

فقال بوارو مغمضاً عينيه: القديسة هيلين، ملاك الرحمة والطاهرة السيرة! ولم تكن هناك أقل فرصة لاحتمال خروجها من قصر أندربي في ذلك اليوم بغير علم أحد من الخدم، قل هذا بالله، أتوسل إليك!

فغمغم السيد غوبي قائلاً (وهو يركز نظراته هذه المرة في حذاء بوارو اللامع): أنا آسف، هذا ليس بإمكاني يا سيد بوارو. فالسيدة هيلين قد ذهبت يومها إلى لندن لإحضار ملابس أخرى لها بعد اتفاقها مع السيد أنتويسل محامي العائلة على البقاء في القصر مدة للإشراف على ما يلزم.

فقال بوارو بانفعال شديد: لم يكن ينقص إلا هذا.

* * *

الفصل الثاني عشر

عندما رأى بوارو بطاقة الزيارة التي تحمل اسم المفتش مورتون التابع لبوليس مقاطعة يوركشير قال لخادمه: أدخله يا جورج، دعه يتفضل.

والواقع أن المفتش مورتون قد طرق صميم الموضوع في الحال قائلاً: لقد جئت إلى لندن وعرفت عنوانك يا سيد بوارو، فقد أثار اهتمامي رؤيتي لك في جلسة التحقيق الرسمي يوم الخميس.

- إذن فقد رأيتني هناك؟

- نعم. وقد أدهشني ذلك وأثار اهتمامي كما قلت. أنت لا تتذكرني ولكنني أتذكرك جيداً في قضية يانجبورن.

- آه! هل كان لك اتصال بتلك القضية؟

- إلى حد ما، وقد مضى وقت طويل على القضية ولكنني لم أنسَ شخصيتك.

- وهل عرفتني في الحال في جلسة التحقيق الأخيرة؟

أجاب المفتش مورتون وهو يخفي ابتسامة يسيرة: لم يكن هذا بالمسألة الصعبة يا سيدي، فإن هيأتك غير عادية. وهناك تطورات جديدة حدثت في القضية يا سيد بوارو.

وتحدث المفتش بالتفصيل عن حادث كعكة الزفاف المسمومة، فتنفس بوارو من أعماق صدره قائلاً: رائع! نعم، رائع! لقد حذرت السيد أنتويسل المحامي لكي يهتم برعاية الآنسة جيلكريست. إن أي اعتداء يقع عليها كان دائماً شيئاً محتملاً، لكن لا بد لي من الاعتراف بأنني لم أكن أتوقع السم، بل كنت أتوقع أن تتكرر مسألة البلطة. فكرت أنه قد لا يكون من الصواب أن تسير وحدها في أزقة خالية من الناس بعد حلول الظلام.

- لكن لماذا كنت تتوقع أن تتعرض الآنسة جيلكريست للاعتداء؟ أظن أنه يجدر بك أن تخبرني بهذا يا سيد بوارو.

فأومأ بوارو إيجاباً وقال: "المسألة كلها بدأت في الجنازة، أو بعبارة أدق: بعد الجنازة". وراح يسرد القصة كما سمعها من المحامي أنتويسل، وكان يذكر التفاصيل بدقة حتى ليخيل للسامع أنه كان شاهد عيان.

وقد استوعب المفتش مورتون كل شيء بذهنه الصافي، وأخيراً قال: السيد رتشارد أبرناثي هذا قد يكون مات مسموماً؟

- هذا محتمل.

- والجثة أحرقت، وليس هناك دليل مادي يمكن الرجوع إليه؟

- بالضبط.

- جميل، إذن لم يبقَ لنا ما يمكن أن نفعله. أعني لم تبق فائدة من تحقيق الشرطة في وفاة رتشارد. إن شيئاً كهذا يكون مضيعة للوقت.

- صدقت يا سيد مورتون، لكن لا يزال أمامنا «الأشخاص»، الأشخاص الذين كانوا حاضرين، الذين سمعوا كورا لانجنيز تقول ما قالته، وواحد منهم بدا له أنها قد تقول كلامها مرة ثانية وبتفصيل أكثر. وهو ما كان لا بد أن تفعله بلا شك. نعم يا سيد مورتون، هناك الأشخاص كما قلت. والآن، لعلك أدركت لماذا حضرت أنا جلسة التحقيق الرسمي ولماذا أبديت اهتماماً بالقضية؟ ذلك لأنني دائماً أقصر اهتمامي على الأشخاص.

- إذن فإن الاعتداء على الآنسة جيلكريست...

- كان دائماً في حسابي. لقد زار رتشارد أبرناثي الفيلا وتحدث مع كورا، وربما يكون قد ذكر فعلاً اسماً معيناً. والشخص الوحيد الذي ربما يكون قد عرف أو سمع شيئاً هو الآنسة جيلكريست. وبعد أن تمّ إسكات كورا فإن القاتل قد يستمر في قلقه وانشغال باله، سيسأل نفسه: هل تعرف المرأة الأخرى شيئاً، أي شيء؟ وبالطبع، لو كان القاتل حكيماً لترك الموقف عند هذا الحد، ولكن القتلة نادراً ما يكونون

من أهل الحكمة والسداد يا سيد مورتون. إنهم يقلقون ويهتمون، إن الوساوس تتملكهم، وهم يحبون أن يتأكدوا ويطمئنوا تماماً. إنهم واثقون من ذكائهم، وهذا ما يجعلهم في النهاية يكشفون رؤوسهم ويقدمون رقابهم كما تعرف.

كان المفتش مورتون يسمع هذا الكلام باسماً، بينما استطرد بوارو قائلاً: إن هذه المحاولة التي جرت لإسكات الآنسة جيلكريست هي غلطة في الواقع. إذ توجد الآن واقعتان يمكنك أن تقوم بالتحري والتحقيق فيهما، وهناك أيضاً الخط الذي كتب به العنوان على علبة كعكة الزفاف. من المؤسف أن الورق الذي غلفت به العلبة قد أحرق في الموقد.

- نعم، ولولا ذلك لكان بإمكاني أن أتأكد مما إذا كانت العلبة قد جاءت بالبريد أو بغيره.

- فهمت منك أن لديك أسباباً تجعلك تظن أن الاحتمال الثاني هو الأقرب؟

- أنا لا أستند في هذا إلى ما يظنه موزع البريد فقط، فهو غير واثق على كل حال. لو أن الطرد جاء عن طريق بريد القرية للاحظته وكيلة مكتب البريد، لكن البريد في هذه الأيام يوزع بالسيارة التي تقوم من بلدة ماركت كينز، والسائق الموزع يقوم بدورة كبرى ويوزع بريداً كثيراً، وهو يظن أنه قد قام بتوزيع خطابات فقط ولم يكن بينها طرد بعنوان الفيلا، لكنه غير متأكد على أي حال. والحقيقة أن

الموزع الشاب واقع في ورطة غرامية ولا يستطيع أن يفكر في شيء غير ذلك. لقد اختبرت ذاكرته ولم أجد في كلامه ما نستطيع التعويل عليه، وإذا كان قد قام بتوزيع الطرد فعلاً فمن الغريب أن يبقى الطرد دون أن يلاحظه أحد، إلاّ بعد أن جاء المدعو... المدعو جوثري.

- آه، السيد جوثري؟

- نعم يا سيد بوارو. إننا نقوم بالتحري في أمر هذا الرجل، وعلى أي حال فإنه من السهل أن يجيء إلى الفيلا بتلك الحكاية المعقولة عن كونه من أصدقاء السيدة لانجنيز. سوزان بانكس التي قابلته وقتها عند حضوره إلى الفيلا، ولم يكن بوسعها أن تعرف إن كان صديقاً لصاحبة الفيلا أو لم يكن، وكان من السهل عليه ترك الطرد الصغير. من السهل أن يجعل الإنسان طرداً كهذا وكأنه جاء بالبريد، مجرد لطخة مفحمة فوق طابع بريد تجعله يبدو وكأنه مختوم بالبريد. وتوقف المفتش برهة ثم أضاف قائلاً: وهل تظن أنه يوجد هناك احتمالات أخرى؟

فأومأ بوارو قائلاً: السيد جورج كروسفيلد جاء إلى تلك الناحية، لكن لم يكن حضوره قبل اليوم الثاني. كان في نيته حضور الجنازة ولكن سيارته تعطلت في الطريق.

- هل تعرف شيئاً عنه يا سيد بوارو؟

- معلوماتي عنه قليلة، إنها ليست كثيرة إلى الحد الذي أريده.

- أحقاً؟ ثم إنني فهمت أن أكثر من واحد من أفراد الأسرة كان مهتماً بوصية رتشارد أبرناثي، وأرجو ألا يكون معنى هذا أن تمتد تحرياتنا إليهم جميعاً.

- لقد جمعت بعض المعلومات عنهم، وهي تحت أمرك. وطبيعي أنني لا أملك السلطة لاستجواب هؤلاء الأشخاص، والحقيقة أنه ليس من الحكمة بالنسبة لي أن أفعل هذا.

- سوف أتمهل في خطواتي، فأنت تود ألا نزعج الطير من عشه بسرعة؟

- هذا أسلوب سليم كما ترى. إذن فإنني أترك لك جميع المعلومات التي حصلت عليها، وسيكون جهاز الشرطة الكبير خير معين لك في هذا الشأن. إنها عملية بطيئة لكن نتيجتها مؤكدة، أما عن نفسي...

- نعم يا سيد بوارو؟

- أما عن نفسي فإنني مسافر إلى المقاطعات الشمالية، فكما قلت لك من قبل، إن الأشخاص هم الذين يثيرون اهتمامي. نعم، عملية تخف بسيطة ثم أذهب إلى الشمال. ثم أضاف بوارو بعد لحظة: في نيتي القيام بشراء قصر ريفي من أجل اللاجئين الأجانب، وسوف أكون ممثل هيئة «يونارکو».

- ما هي هيئة يونارکو؟

- هي مختصر اسم «منظمة الأمم المتحدة لمساعدة مراكز اللاجئين». إنه اسم رنان جذاب، ألا ترى هذا؟

فلم يجب المفتش مورتون بأكثر من ابتسامة صغيرة.

* * *

الفصل الثالث عشر

كان يمكن أن يكتفي بوارو بالمعلومات التي جمعتها له هيلين أبرناثي على لسان خدم قصر أندربي عن حالة رتشارد في الأسابيع الأخيرة من حياته، لكن بوارو -بطبيعته وبحكم خبرته الطويلة- لم يكن يثق في أي إنسان حتى يجرب بنفسه ويستوثق هو شخصياً من صدق ما أبلغ إليه من معلومات.

إن مسألة قتل رتشارد أبرناثي لا يمكن إلاّ أن تكون افتراضية، وإنما جريمة قتل كورا لانجنيز هي التي كانت بحاجة إلى الدليل. وما كان يريده بوارو هو أن يدرس الأشخاص الذين اجتمعوا في مناسبة الجنازة ذلك اليوم وأن يستخلص لنفسه النتائج اللازمة عنهم، وهو قد أعدّ خطة لهذا الغرض.

* * *

خرج بوارو إلى شرفة القصر ملتفاً بمعطفه وكوفيته اتقاء لبرد المقاطعة الشمالية، وانضم إلى هيلين أبرناثي التي كانت تقطف بعض الأزهار. سألته هيلين: هل وجدت شيئاً جديداً؟

أجاب بوارو: لم أجد، لكني لم أكن أتوقع أن أجد شيئاً.

- هذا ما كنت أعرفه. فمنذ أن أخبرني المحامي أنتويسل أنك قادم إلى هنا جعلت أبحث عن أي شيء جديد أستطيع أن أتوصل إليه، لكن بلا فائدة. وتوقفت لحظة ثم قالت بلهجة يشوبها الأمل: لعل المسألة كلها أوهام في أوهام؟

- هل من الأوهام أن يُقتل إنسان ببلطة؟

- لم أكن أقصد كورا.

- أما أنا فأقصدها. لماذا اضطر شخص ما إلى قتلها؟ المحامي أنتويسل أخبرني أنه عندما فاجأتكم كورا بكلماتها الغريبة شعرتِ أنت لحظتها أن هناك شيئاً ما خاطئاً، هل هذا صحيح؟

قالت: نعم.

فمضى بوارو يقول بغير هوادة: إلى أي حد كان هذا الخطأ؟ هل كان شيئاً مفاجئاً؟ مثيراً للدهشة؟ مقلقاً؟ مخيفاً؟ أي وصف ينطبق عليه؟

- آه، لا. لم يكن شيئاً مخيفاً، كان شيئاً لا يزيد عن... آه، لست أعرف. لا أستطيع أن أتذكر... وهو لم يكن شيئاً هاماً.

- لكن لماذا لا تستطيعين أن تتذكري؟ هل لأن شيئاً آخر أبعده من ذهنك، شيئاً أكثر أهمية؟

- نعم، نعم. أظن أنك على صواب في هذا، أعتقد أن ذكر عبارة «جريمة قتل» هو السبب. الحديث عن هذا الأمر أبعد من ذهني كل شيء. لعله كان رد الفعل الذي بدا من شخص بعينه عند ذكر عبارة «جريمة قتل»، ربما... غير أنني لا أتذكر أنني كنت لحظتها أنظر إلى شخص معين بصفة خاصة. كنا وقتها نحدق جميعاً بعيوننا إلى كورا. ربما كان ذلك شيئاً سمعته، ربما كان شيئاً سقط أو تحطم...

قطبت هيلين حاجبيها في محاولة للتذكر، فقال بوارو: لا بأس، سوف تتذكرين يوماً ما، وربما لم يكن للأمر أهمية. والآن، حدثيني يا سيدتي: مَن مِن الموجودين هنا يعرف كورا جيداً؟

جعلت هيلين تتأمل لحظة ثم قالت: لانسكوم فيما أظن. إنه يتذكرها منذ كانت طفلة، أما الخادمة جانيت فقد جاءت بعد زواج كورا وذهابها من هنا.

- ومن غير لانسكوم؟

أجابت هيلين بعد تفكير: أنا فيما أظن، أما مود زوجة تيموزي فلم تعرفها قط.

- إذن، باعتبارك الشخص الوحيد الذي كان يعرفها جيداً: لماذا في رأيك صدرت منها تلك الكلمات؟

أجابت هيلين باسمة: كانت هذه طبيعة كورا.

- ما أقصده هو: هل كان ذلك مجرد سذاجة وبلاهة؟

هل اندفعت تقول ما كان يدور في ذهنها دون تفكير أم كانت سيئة القصد، تتلذذ بتعكير صفو الجميع وتكدير خاطرهم؟

فكرت هيلين قليلاً ثم أجابت: لا يمكنك أن تحكم على إنسان بصفة قاطعة، إنني لم أعرف قط إن كانت كورا حاذقة ماكرة أو كانت تسعى بنوع من التصرف الصبياني إلى إحداث أي تأثير، أليس هذا قصدك؟

- نعم. كنت أفكر: لنفرض أن السيدة كورا قالت لنفسها: "كم يكون طريفاً ومسلياً أن أسأل إذا كان رتشارد قد مات قتلاً وأنظر إلى التأثير في نفوسهم جميعاً"! لو فعلت هذا لكان أقرب إلى طبيعتها، أليس كذلك؟

بدا الارتياب على هيلين وأجابت: ربما كان ما تقول.

عمد بوارو إلى تغيير الموضوع فقال لها: السيدة تيموزي كانت هنا في القصر في الليلة التالية للجنازة؟

- نعم.

- هل تكلمت معك بأي حال عما قالته كورا؟

- نعم، قالت إن هذا كلام جنوني وهو لا يُستغرَب من إنسانة مثل كورا.

سألها بوارو: ألم تحمل هذا الكلام على محمل الجد؟

فأجابت هيلين: آه، لا، لا. أنا متأكدة من هذا.

قال بوارو: وأنت يا سيدتي، هل حملت هذا الكلام على محمل الجد؟

فأجابت هيلين وهي تفكر ساهمة: نعم يا سيد بوارو، لقد أخذت كلامها على محمل الجد.

وساد الصمت بينهما إلى أن قال بوارو: أريد يا سيدتي أن ألتقي بكل شخص كان هنا في يوم الجنازة، وسوف يكون من دواعي الارتياح، بل من متطلبات الخطة، أن يتم هذا اللقاء هنا في القصر.

قالت هيلين ببطء: أخشى أن أقول إن هذا سيكون مسألة صعبة.

فقال بوارو: لن تكون بالصعوبة التي تتصورينها. لقد فكرت في الوسيلة سلفاً. إن القصر معروض للبيع، أو هذا هو ما سوف يقوله المحامي أنتويسل. ولذلك فإنه سيدعو مختلف أفراد الأسرة لكي يجتمعوا هنا ويختاروا ما يريدون من أثاث القصر قبل عرضه للبيع في المزاد. ويمكن اختيار عطلة نهاية الأسبوع موعداً لهذا الغرض.

وتوقف بوارو، ثم أردف قائلاً: لعلك رأيت إنها مسألة سهلة جداً.

فرمقته هيلين بعينيها الصافيتين الزرقاوين بنظرة لا تخلو من برود وقالت: هل تنصب فخاً لأحد يا سيد بوارو؟

فرد عليها بوارو: واأسفاه! ليتني كنت أعرف ما فيه

الكفاية. لا، ما زال عقلي طليقاً غير مقيد برأي معين. ثم أضاف متأملاً: ربما تلزم بعض اختبارات معينة.

- اختبارات؟ أي نوع من الاختبارات؟

- لم أكيف طبيعتها بعد، وعلى أي حال فالأفضل ألا تعرفيها يا سيدتي.

قالت هيلين: لكن يمكن إجراء الاختبارات في شخصي أيضاً؟

فرد عليها بوارو: أنت يا سيدتي قد سُمح لك بالدخول خلف الكواليس. والآن بقيت مسألة واحدة مشكوك فيها. إن فريق الشباب في الأسرة سوف يرحب بالحضور فيما أظن، لكن ربما كانت الصعوبة هي ضمان حضور السيد تيموزي أبرناثي، فقد بلغني أنه لا يفارق بيته أبداً.

فابتسمت هيلين فجأة وقالت: أعتقد أن التوفيق سيحالفك من هذه الناحية يا سيد بوارو، فقد سمعت من مود أمس أن العمال يقومون بطلاء البيت وأن تيموزي يقاسي كثيراً من روائح الطلاء، وهو يقول إنها تؤثر في صحته أسوأ تأثير. وأظن أن مود وزوجها سوف يسرهما الحضور إلى هنا ربما لمدة أسبوع أو أسبوعين، ثم إن مود لا تزال في حالة لا تسمح بكثرة الحركة في البيت. هل تعرف أنها أصيبت بالتواء في قدمها؟

- لسوء الحظ لم أسمع بهذا.

- من حسن حظهما أنهما وجدا مرافقة كورا، الآنسة

جيلكريست. والظاهر أنها أصبحت عندهما بمثابة كنز.

فالتفت بوارو بحدة إلى هيلين قائلاً: ما هذا؟ مَن الذي اقترح على الآنسة جيلكريست أن تذهب إليهما؟ من الذي أشار بهذه الفكرة؟

- أظن أن سوزان هي التي تولت هذه المهمة.

قال بوارو بلهجة غريبة: آه! إذن كانت سوزان الصغيرة هي صاحبة الفكرة؟ إنها مغرمة بعمل الترتيبات.

فردت هيلين: إن سوزان فتاة قوية.

- نعم، هي كذلك. هل سمعت أن الآنسة جيلكريست نجت بمعجزة من الموت نتيجة قطعة من كعكة زفاف مسمومة؟

فقالت هيلين منزعجة: لا. لقد تذكرت الآن أن مود قالت في التليفون إن الآنسة جيلكريست قد خرجت لتوها من المستشفى، ولكني لم أعرف سبب وجودها في المستشفى. عملية تسمم؟ لكن لماذا يا سيد بوارو؟

- هل توجهين هذا السؤال حقاً؟

قالت هيلين في انفعال وحدة مفاجئين: آه! اجمعهم كلهم هنا، اكتشف الحقيقة! يجب ألا تحدث جرائم قتل أخرى.

- إذن فسوف تتعاونين معي؟

- نعم، سأتعاون.

* * *

الفصل الرابع عشر

راح هيركيول بوارو وهو جالس في مقعده قرب المدفأة في قاعة المكتبة يتصفح وجوه أفراد الأسرة بعد اجتماع شملهم. تفرس في وجه سوزان التي جلست منتصبة القامة بادية النشاط والحيوية تنظر إلى زوجها الجالس إلى جانبها بوجه جامد الملامح، وقد راحت أصابعه تعبث بحلقة المفاتيح. وانتقلت نظراته إلى جورج كروسفيلد الذي جلس هادئاً ناعم البال يحدث روزا موند عن الغش في ألعاب الورق الذي برع فيه المحتالون على عابرات المحيط استغلالاً للسائحين، وهي تعلق على حديثه بعبارات لا يبدو فيها أثر للاهتمام والتركيز. ثم انتقلت نظراته إلى زوجها مايكل شان الوسيم، ومنه إلى هيلين التي جلست معتدلة القامة في شبه عزلة عن الجميع. ثم إلى تيموزي الذي استقر في مقعد وثير وقد وضعت وسادة إضافية خلف ظهره، وإلى قربه زوجته مود القوية البنية المتفانية في رعايته والسهر عليه. وأخيراً إلى تلك الشخصية التي جلست بعيدة عن دائرة أفراد الأسرة تلوح عليها أمارات الحرج، الآنسة جيلكريست.

كان بوارو على ثقة من أنها لن تلبث أن تنهض معتذرة وتترك الأسرة في مجلسها وتصعد إلى غرفتها. كان يعلم أن مثلها تعرف مكانها الصحيح بعد أن علمتها تجارب الحياة، وكان بوارو يرتشف القهوة بعد العشاء وهو يمارس عملية الفحص والتقييم.

كانت معلومات المحامي أنتويسل عن أفراد الأسرة رائعة. لقد كان وصفهم له وصفاً دقيقاً كله ذكاء وعمق، وبالإضافة إلى المعلومات التي استقاها من المحامي فإنه أراد أن يرى بنفسه، فقد قدر أنه يستطيع في اجتماعه بهؤلاء الأشخاص عن كثب أن يستخلص لنفسه النتائج التي يريدها عن الجريمة ومرتكبها. ولا شك أن له من تجارب الحياة ما يستطيع معه أن يحدد ويعرف نموذج المجرم الهاوي الذي يندفع إلى القتل حين تضطره الظروف إلى ذلك، تماماً كما يستطيع خبير اللوحات الفنية أن يحدد الفنان ويعرفه. غير أن هذه المهمة لن تكون بالهينة اليسيرة.

ذلك أنه يستطيع أن يتصور أن أي واحد من بين هؤلاء الأشخاص هو القاتل على وجه الترجيح أو الاحتمال. إن جورج كورسفيلد يمكن أن يقتل كما يندفع الفأر المحاصر إلى القتل. وتستطيع سوزان بما هي عليه من قوة الشخصية والاقتدار أن ترسم بهدوء خطة للقتل. وجريجوري لا يتورع بنفسيته الملتوية وطبعه الحقود عن أن يقتل للانتقام والعقاب. ومايكل شان يقتل، فهو الطموح المعتد بنفسه الواثق من مقدرته. وروزا موند قد تدفعها السذاجة المفرطة

إلى القتل. وتيموزي يقتل لأنه كان يكره رتشارد وكان يشتهي أن تؤول إليه ثروة أخيه لتكون له القوة ورفعة الشأن. ومود تقتل لأن زوجها تيموزي كان بمثابة طفلها المدلل، وحينما تكون هناك مصلحة للطفل فهي لا تتردد أن تكون قاسية بلا أدنى رحمة. بل حتى الآنسة جيلكريست ما كانت لتتردد في أن تقتل إذا كان في القتل ما يرد إليها مشرب شاي «شجرة الصفصاف» بأمجاده الماضية.

وهيلين؟ لم يجد بوارو فيها صورة القاتل المحتمل، فهي امرأة شديدة الرقة وأبعد ما تكون عن هذا الوصف، ومن المؤكد أنها وزوجها ليو المتوفى كانا يحبان رتشارد حباً خالصاً.

لم يتمالك بوارو أن يتنهد، فالطريق إلى الحقيقة لن يكون قصيراً مختصراً، ولا مفر له من أن يتبع الطريق الأطول، ولكنه طريق مكفول النتائج. لا بد من الحوار، والحوار المستفيض المتصل، ذلك لأنه من خلال ذلك لا بد أن يفتضح المستور من دخائل الناس، إما بكذبة تبدر أو من خلال الصدق ذاته.

تولت هيلين تقديمه إلى المجتمعين بصفته السيد برنتارلبير، ممثل هيئة اللاجئين الأجانب التي تريد شراء القصر. وكان عليه أن يتغلب على نفورهم من وجوده بينهم كغريب أجنبي. وقد راح يستعين بعينيه وأذنيه وأخذ يراقب ويستمع، علناً ومن خلف الأبواب. وقد لاحظ تلك الخلافات والخصومات والكلمات المتطايرة التي لا بد أن تنبعث عندما

يجري تقسيم التركة، ورتب جولات فردية ومسيرات في الشرفات استخلص لنفسه منها النتائج والملاحظات.

وتكلم مع الآنسة جيلكريست عن الأمجاد القديمة لمشرب الشاي، وتحدث معها في التركيب الدقيق لمختلف أصناف الكعك والحلوى. كما أمضى فترات طويلة مستمعاً إلى تيموزي وهو يتحدث عن صحته وعن تأثير الطلاء عليها. ولم يتمالك بوارو أن قطب وجهه عندما تذكر كلمة الطلاء... أحدهم قال له كلاماً عن الطلاء، أهو السيد أنتويسل؟

لقد دارت أيضاً مناقشة عن نوع آخر من الطلاء، عن كورا لانجنيز كفنانة ترسم بالزيت والألوان، فنانة تتحمس لها الآنسة جيلكريست وتستخف بها سوزان بقولها ذات مرة: "صورها أشبه بالبطاقات المصورة، وكأنها تنقل صورها عن هذه البطاقات أيضاً". وقد أغضب هذا الحديث الآنسة جيلكريست إلى أبعد مدى حتى قالت بحدة: إن السيدة لانجنيز العزيزة كانت دائماً ترسم من الطبيعة.

غير أن سوزان قالت لبوارو بعد انسحاب الآنسة جيلكريست من الغرفة: ولكنني أراهن أنها كانت تغش، وأنا أعرف حقيقة أنها كانت تفعل ذلك وإن كنت لا أريد أن أثير هذه المرأة الخرفة.

- وكيف عرفت أنها كانت تفعل ذلك؟

- سأقول لك، لكن لا تبلّغ هذا الحديث إلى الآنسة جيلكريست. إن إحدى الصور المرسومة تمثل ميناء الصيد

في بولفلكسان: الخليج الصغير والفنار والسقالة، وهو المشهد الطبيعي المعتاد الذي يجلس الفنانون الهواة لرسمه. لكن السقالة نسفت أثناء الحرب العالمية، ولما كانت لوحة خالتي كورا قد رسمت منذ سنتين فإن من البديهي أن تكون مرسومة عن الطبيعة، لكن البطاقات المصورة التي تباع لهذا المشهد لا تزال تحمل السقالة كما كانت قبل نسفها، وقد ضبطت في غرفة نومها بطاقة مصورة من هذا النوع في أدراجها الخاصة. وهكذا فإن كورا بدأت الرسم التخطيطي للمشهد في موقعه، ثم أتمت الصورة خفية في بيتها فيما بعد نقلاً عن البطاقة المصورة. فيا لها من مفارقة مضحكة إذ يتعرض بعض الناس لمن يفضح أسرارهم يوماً ما!

- نعم، هي مفارقة مضحكة كما قلت.

وتوقف بوارو هنيهة. ولما وجد هذه البداية الطيبة قال أخيراً: أنت لا تتذكرينني يا سيدتي. لقد كنت جالساً في سيارة ملتفاً بملابسي الثقيلة ورأيتك من النافذة ذات يوم. كنت وقتها تتكلمين مع ميكانيكي الموقف ولم تلاحظي وجودي طبعاً، وأنا رجل عجوز أجنبي متدثر داخل السيارة. أما أنا فقد لاحظتك لأنك شابة وجذابة، وكنتِ واقفة في الشمس. وهكذا عندما جئت هنا ورأيتك قلت لنفسي: يا لها من مصادفة!

- في موقف؟ أين؟ متى كان ذلك؟

- منذ فترة قصيرة، أسبوع... لا، بل أكثر. لا أتذكر

بالضبط أين كان هذا (ولكنه كان يتذكر تماماً أن ذلك قد حدث أمام موقف فندق كنجز آرمز الصغير) فإنني أتنقل كثيراً في الأرياف بحكم مهنتي كمندوب.

فقالت هيلين: كنت تبحث عن بيت ملائم لشرائه للاجئين؟

- نعم، هناك مشاغل كثيرة تملأ ذهن الإنسان في هذه المناسبات. الثمن، المنطقة، صلاحية المكان لإجراء التعديلات المطلوبة...

* * *

كان مسلك أفراد الأسرة مهذباً حيال السيد برنتارلبير، ممثل هيئة اللاجئين الأجانب المعروفة باسم «يوناركو». ولا شك أنه كان موفقاً في اختيار التسمية المختصرة للهيئة التي جاء يشتري القصر لها، فالجميع تقبلوا هذه التسمية من قبيل العرف الجاري لئلا يُتهموا بالجهل. وكان الاستثناء الوحيد من قبل روزا موند التي سألته في عجب: "لكن ما هي الهيئة؟ أنا لم أسمع بها من قبل". ومن حسن الحظ أن أحداً غيرها لم يكن حاضراً، وقد تولى بوارو تفسير اسم الهيئة وطبيعة نشاطها بطريقة أفحمتها، حتى لم تجد إلاّ أن تقول في النهاية: آه، لاجئون من جديد؟ لقد سئمت هؤلاء اللاجئين.

وهكذا كانت بسذاجتها معبرة عن شعور الآخرين الذين لجؤوا إلى المجاملة والنفاق.

* * *

تقبلت الأسرة وجود السيد بونتارلبير بينها بمضض، وإنما على أساس الأمر الواقع الذي لا حيلة فيه. وكان الرأي الغالب بينهم هو أن هيلين كان يجب أن تتحاشى المجيء به في عطلة نهاية الأسبوع هذه بالذات، ولكن ما دام قد حضر فلا بد لهم أن يفلسفوا وجوده ويعتبروه وكأنه غير موجود.

ومن حسن الحظ أن هذا الأجنبي الغريب الأطوار قد بدا لهم أنه لا يفهم اللغة الإنجليزية كثيراً، وكثيراً ما ظهر لهم أنه لا يفهم ما يقال له، وعندما كان الجميع يتبادلون الحديث في وقت واحد فإنه كان يبدو عاجزاً تماماً عن الفهم. وكان الشيء الوحيد الذي لاح لهم أنه يفهمه هو موضوع اللاجئين وظروف ما بعد الحرب. وهكذا كان بوارو يميل في مقعده إلى الخلف يرتشف قهوته وهو شبه منسي منهم، وكان يسجل حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم ساكناً في الظاهر سكون القط الذي يرقب مجموعة من العصافير تتواثب أمامه قبل أن تحين لحظة الانقضاض.

وبعد أن أمضى ورثة رتشارد أبرناثي أربعاً وعشرين ساعة كاملة وهم يتجولون في أرجاء القصر يفحصون محتوياته ويقدرون ويثمّنون نفائسه، كانوا الآن على استعداد لكي يذكر كل منهم ما يريده ويفضله، بل ولكي يتقاتلوا فيما بينهم إذا لزم الأمر.

وكان موضوع النقاش الذي بدؤوا به هو طاقم خزف قديم فرغوا تواً من تناول الحلوى فيه. وقد تنافس على اقتناء هذا الطاقم كل من تيموزي وجورج، وحُسم الأمر

أخيراً لمصلحة الأول. ثم قامت منافسة بين سوزان وروزا موند على اقتناء الطاولة الرخامية الموجودة بقاعة الجلوس، فقالت الأولى: إنني أريد هذه الطاولة لصالون التجميل الذي أقوم بإنشائه. وهي نوع من الديكور الزخرفي، وسوف أضع باقة كبيرة من الأزهار الصناعية فوقها، وبهذا يمكن أن تبدو رائعة، بإمكاني أن أجد الأزهار الصناعية بكل سهولة أما الطاولة الرخامية فليست شيئاً عادياً.

فغمغمت الآنسة جيلكريست قائلة: إن باقة الأزهار الصناعية كانت تبدو في مكانها المناسب تماماً فوق الطاولة، إنها تحفة فنية بديعة الجمال.

ولكن لم يهتم أحد منهم بكلمات الآنسة جيلكريست السطحية رغم أنها قالتها بحسن نية. وقال جورج في مرح: سوف نسمي هذه المعركة «معركة الطاولة»، وسوف تنشب غداً. ستكون معركة مهذبة طبعاً، ولكن بعزيمة وإصرار رهيبين. أنا أقف في صف روزا موند، والمفروض أن الأزواج سيقفون في صف نسائهم، وأنت يا خالتي هيلين؟

فابتسمت هيلين قائلة: ربما أخذت الطاولة لنفسي.

وعمدت إلى تغيير موضوع الحديث، فالتفتت إلى ضيفها الغريب قائلة: أرجو ألا يكون هذا كله شيئاً مملاً في نظرك يا سيد بونتارلبير؟

- عفواً يا سيدتي، إنني أعد نفسي محظوظاً بوجودي في نطاق أسرتكم الفاضلة. كل ما أريد أن أقوله هو أن

أعرب عن بالغ أسفي لانتقال القصر من حيازتكم إلى أيدي الأغراب، هذا ولا شك مدعاة لأشد الأسف.

وعلى هذه الصورة خفت حدة تأزم الجو إلى حد كبير ومالوا إلى التبسط والتفكه، ولم يعد القوم ورثة رتشارد أبرناثي الذين اجتمعوا لاقتسام التركة بل أصبحوا أقرب إلى مجموعة عادية من الناس اجتمعت لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في الريف.

ولم يلبث بوارو أن نهض متنهداً وقال لمضيفته هيلين: يحسن يا سيدتي أن أسلّم مودعاً الآن، فإن القطار الذي سأستقله يقوم في الساعة التاسعة من صباح الغد، وهذا وقت مبكر. ولهذا فإنني أعرب لك الآن عن شكري لما لقيت من كرمك. أما عن موعد تسليم القصر فسوف يتم هذا الاتفاق مع السيد أنتويسل المحامي. وأرجو ألا تكوني آسفة على مغادرته.

- آه، لا فائدة من التعلق بالماضي، على الإنسان أن يترك الماضي خلفه.

- إذا كان هذا في مقدور الإنسان!

قال بوارو هذا وهو يدير عينيه ببراءة في وجوه الذين وقفوا حوله يجاملونه، ثم استطرد: أحياناً لا يمكن للإنسان أن يترك الماضي ولا للماضي أن يتركه، إن الماضي يقف بجانب الإنسان ويقول له: "لم تتخلص مني بعد".

فضحكت سوزان متشككة، فقال بوارو: لكني جاد في كلامي.

فقال مايكل شان: تقصد أن اللاجئين الذين تمثلهم عندما يجيئون إلى هنا لن يمكنهم نسيان آلامهم الماضية تماماً؟

- لست أقصد اللاجئين.

فقالت روزا موند: إنه يقصدنا يا حبيبي. إنه يقصد خالنا رتشارد وخالتنا كورا، إلى آخره... ثم التفتت إلى بوارو قائلة: أليس هذا قصدك؟

فقال بوارو وهو ينظر إليها: ولماذا تظنين هذا يا سيدتي؟

- لأنك شرطي سري واسمك هيركيول بوارو، هذا هو سبب وجودك هنا. إن هيئة يوناركو للاجئين ليست سوى كلام فارغ، أليس كذلك؟

* * *

الفصل الخامس عشر

سادت فترة عصيبة، وفي النهاية قال بوارو هو يهز رأسه دون أن يرفع نظره عن وجه روزا موند الجميل الهادئ: إن لك مقدرة فذة يا سيدتي.

- ليس في الواقع، لقد أشاروا إليك ذات مرة في أحد المطاعم يعرفونني بك، وقد تذكرت هذا أخيراً.

- لكنك لم تذكري هذا إلاّ الآن.

فقالت: فكرت أن من الفكاهة ألا أفعل هذا.

ودار بوارو بنظره متمعناً في وجوههم جميعاً. كانت سوزان غاضبة ومتحفزة، وكان زوجها جامد الملامح متقوقعاً، وكانت الآنسة جيلكريست أقرب إلى البلاهة وقد فغرت فمها على سعته، وكان جورج حذراً متأهباً، وبدت هيلين مرتاعة وعصبية.

كانت ملامح وجوههم جميعاً طبيعية في موقف كهذا. وقد ود بوارو لو أنه تصفح هذه الوجوه قبل ذلك بثانية واحدة

عندما صدرت عن روزا موند كلمة «شرطي سري»، أما الآن فإن هذه الملامح لم تعد كما كانت لحظتها. ولم يلبث أن شد كتفيه وانحنى أمامهم، وقال: نعم، أنا شرطي سري.

فقال جورج: ومن أرسلك إلى هنا؟

- لقد كُلّفت بالتحقيق في ظروف وفاة رتشارد أبرناثي.

- ممن؟

- ليس هذا من شأنك في الوقت الحالي، لكن قد يسوغ لكم أن تعلموا بدون أدنى ظل من الشك أن رتشارد أبرناثي مات ميتة طبيعية.

- بالطبع كانت وفاته طبيعية، من قال غير هذا؟

رد عليه بوارو: كورا لانجنيز، وكورا لانجنيز ماتت هي أيضاً.

فقال جورج كروسفيلد: وهل يمكن أن أسأل ما هي النتائج التي توصلت إليها؟

قالت روزا موند: إنه لن يخبرك يا عزيزي. ولو أخبرك فإن ما يقوله لن يكون هو الحقيقة.

كانت هي الوحيدة بينهم التي بدت متمتعة بالموقف، وراح بوارو ينظر إليها مفكراً متأملاً.

* * *

عندما ذهبت هيلين أبرناثي إلى غرفتها أمضت وقتاً طويلاً قبل أن تنام. فقد كانت تفكر، وفي جلستها أمام مائدة الزينة راحت تحدق إلى نفسها بغير وعي في المرآة. لقد اضطرت إلى استقبال بوارو في القصر على غير رغبة منها بعد أن حملها المحامي أنتويسل على ذلك بإلحاحه. أما الآن فقد انكشف وأصبح معروفاً للجميع، ولم يبق من سبيل كي يترك رتشارد أبرناثي يستقر في قبره مستريحاً. وقد كان ذلك كله بسبب كلمات تفوهت بها كورا ذلك اليوم بعد الجنازة.

كيف كانت حالة كل واحد منهم؟ كيف راحوا ينظرون إلى كورا؟ كيف راحت هي نفسها تنظر إليها؟ كانت عيناها تحدقان في المرآة دون وعي، ولم تلبث أن ركزت نظرتهما فجأة.

إنها ترى الآن نفسها، لكن ليست نفسها حقيقة... ليست نفسها كما يراها الآخرون. ليس كما رأتها كورا في ذلك اليوم!

إن حاجبها الأيمن... لا، إن حاجبها الأيسر كان مقوساً إلى أعلى قليلاً عن حاجبها الأيمن، والفم؟ لا، إن تقوس الفم منتظم، ولو أنها التقت بنفسها لما وجدت فارقاً كبيراً يختلف عن هذه الصورة البادية في المرآة. إنما لم يكن الحال كذلك مع كورا، كورا...

وسرعان ما تجلت الصورة بأقصى وضوح: كورا يوم

الجنازة ورأسها مائل إلى جنب وهي تلقي بسؤالها الرهيب، وهي تنظر إلى هيلين.

لم تتمالك هيلين أن رفعت يديها فجأة إلى وجهها وقالت لنفسها: هذا غير معقول... لا يمكن أن يكون معقولاً!

* * *

استيقظ المحامي أنتويسل من نومه في الساعة السابعة صباحاً على رنين جرس التليفون إثر مكالمة خارجية من قصر أندربي. كانت المتكلمة هيلين أبرناثي وقد قالت له معتذرة: أنا في شدة الأسف لإيقاظك من النوم في هذا الوقت المبكر، لكنك طلبت مني مرة أن أتصل بك في الحال إذا أنا تذكرت ما الذي اعتبرته شيئاً خاطئاً عندما كهربتنا كورا جميعاً بقولها إن رتشارد مات مقتولاً.

- آه، وهل تذكرت فعلاً؟

قالت هيلين بصوت يعبّر عن الحيرة: نعم، لكنه شيء غير معقول!

- دعي لي الحكم على هذا، هل كان شيئاً لاحظته على أحد الأشخاص؟

- إنه يبدو غير معقول، لكنني واثقة تماماً منه. لقد تذكرت هذا الشيء بينما كنت أنظر إلى نفسي في المرآة في الليلة الماضية، أوه!

كانت صرخة فزع يسيرة أعقبها صوت بدا غريباً عبر أسلاك التليفون، صوت ثقيل أصم لم يستطع المحامي أن يتبين حقيقته قط. وصاح على الفور: آلو، آلو، هيلين، تكلمي... هيلين!

* * *

الفصل السادس عشر

لم يستطع المحامي أنتويسل أن يتصل تليفونياً بقصر أندربي إلاّ بعد ساعة بذل فيها جهداً ومحاولات شتى مع المشرفين وغيرهم في هيئة التليفونات، وأمكنه أخيراً أن يتصل ببوارو فقال في انفعال يغتفر له: شكراً للسماء! لقد وجدت البدالة صعوبة كبرى في الاتصال برقمكم.

فقال بوارو: ليس في هذا ما يدهش، فالسماعة كانت مدلاة.

بدت لهجة بوارو عبر الأسلاك مستطيرة، فقال أنتويسل بحدة: هل حدث شيء؟

- نعم، عثرت الخادمة على هيلين أبرناثي منذ ثلث ساعة ملقاة على الأرض بجانب التليفون في غرفة المكتب، وكانت فاقدة الوعي ومصابة بارتجاج في المخ.

- أتعني أنها قد تلقت ضربة على الرأس؟

- أظن هذا، ومن الجائز أنها قد وقعت فاصطدم رأسها

بالأرض، ولكنني لا أظن هذا والطبيب لا يظن هذا أيضاً.

- لقد كانت تتحدث إليّ تليفونياً وقتها، وقد دهشت عندما انقطعت المكالمة التليفونية فجأة.

- إذن فأنت الذي كانت تحدثه هيلين تليفونياً؟ ماذا قالت لك؟

- لقد ذكرت لي في مرة سابقة أنها شعرت في تلك المناسبة التي صرحت فيها كورا لانجنيز بأن شقيقها رتشارد مات مقتولاً، ذكرت أن شيئاً قد بدا لها خاطئاً وغريباً حينذاك. ولم تستطع في كلامها معي أن تبين ما هو ذلك الشيء، ومن سوء الحظ أنها لم تستطع أن تتذكر ما الذي أوحى إليها بذلك الإحساس.

- وفجأة تذكرت؟

- نعم.

- واتصلت بك تليفونياً كي لتخبرك؟

- نعم، وقد بدأت تتحدث ولكن حديثها انقطع.

- إلى أي حد وصلت في حديثها؟

- قالت لي إنني طلبت منها أن تخبرني في الحال إذا تذكرت ما الذي بدا لها خاطئاً غريباً في تلك المناسبة، وقالت إنها تذكرت فعلاً، ولكنه شيء غير معقول... وقد سألتها إذا كان شيئاً يتصل بأحد الأشخاص الذين كانوا

موجودين في ذلك اليوم فأجابت بنعم، وقالت إنها تذكرت ذلك بينما كانت تنظر إلى نفسها في المرآة.

- ألم تذكر أي تلميح عن الشخص المقصود بين الجميع؟

فقال أنتويسل: كلا، ولا بد لنا من الانتظار حتى تعود هيلين إلى وعيها.

- قد يدوم انتظارنا طويلاً، فهي قد لا تفيق أبداً!

- هل الحالة خطيرة إلى هذا الحد؟

- نعم.

- لكن هذا شيء فظيع يا بوارو.

- نعم، هو فظيع، وهذا هو السبب في أنه لا يمكننا الانتظار. إننا نواجه شخصاً إما أن يكون قاسياً بلا أدنى رحمة أو شديد الخوف والفزع على نفسه إلى حد يوصله إلى نفس النتيجة.

- ولكن، قل لي يا بوارو: ماذا بشأن هيلين؟ إنني أشعر بالقلق عليها. هل أنت متأكد من أنها ستكون بمأمن في قصر أندربي؟

- لا، لن تكون بمأمن. ولهذا فإنها ليست في قصر أندربي. والآن حضرت سيارة إسعاف لنقلها إلى إحدى المصحات حيث ستشرف عليها ممرضات خصوصيات ولن

يسمح لأحد بزيارتها، لا من الأقارب ولا من غيرهم.

فتنفس المحامي الصعداء قائلاً: لقد أرحت بالي، كان يمكن أن تتعرض للخطر.

- إنها فعلاً معرضة للخطر.

قال المحامي بصوت يدل على الانفعال الشديد: إنني أحمل لهيلين أبرناثي أعمق الاحترام والتقدير.

* * *

شرب بوارو قهوته وارتدى معطفه وقبعته، ثم غادر الغرفة وهبط الدرج الخلفي بخفة وغادر القصر من الباب الجانبي. وسار بنشاط مسافة ربع الميل التي تبعد القصر عن مكتب البريد، وهناك طلب مكالمة تليفونية خارجية، ولم يلبث أن راح يحدث المحامي أتويسل مرة أخرى.

قال له: نعم، أنا هو مرة ثانية. لم أتحدث إليك بصراحة لأن بعضهم كان يسترق السمع. إنني أريد منك يا صديقي أن تذهب إلى بيت تيموزي أبرناثي.

- لكن تيموزي ومود موجودان عندك في قصر أندربي.

- بالضبط، لا يوجد في البيت سوى امرأة تدعى السيدة جونز أمكن إغراؤها بمبلغ كبير لحراسة البيت مدة غيابهما. إن ما أريده منك هو أن تحصل على شيء معين في ذلك البيت.

- يا عزيزي بوارو! لا يمكن أن أنحدر إلى حد السرقة.

- لن تبدو سرقة. سوف تقول للسيدة جونز التي تعرفك أن السيد والسيدة أبرناثي كلفاك بإحضار هذا الشيء المعين وأخذه إلى لندن، وهي لن تشك في الأمر.

فقال أنتويسل بلهجة تدل على أشد النفور: ربما كان ما تقول، لكني لا أحب هذا العمل. لماذا لا تذهب أنت وتأخذ ما تريده؟

- لأنني سأبدو في هيئة الأجنبي الغريب يا صديقي وأكون بهذا عرضة للاشتباه، مما يجعل السيدة جونز تضع العقبات في طريقي. أما معك فإنها لن تفعل ذلك.

فقال أنتويسل بلهجة الشهيد: هل أنت واثق يا بوارو أن هذه المهمة ضرورية فعلاً؟

- بل هي حيوية.

- وما هو هذا الشيء الذي يلزم أن أحصل لك عليه؟

أخبره بوارو بما يريد، فقال المحامي أخيراً: وماذا تريد أن أفعل بهذا الشيء اللعين؟

- سوف تذهب به إلى لندن، إلى عنوان معين في إيلم بارك جاردنز، إذا كان معك قلم فاكتب العنوان.

وبعد أن كتب المحامي العنوان قال بلهجة الشهيد مرة أخرى: أملي أن تكون مقدراً ما تفعل يا بوارو؟

- طبيعي! إنني مقدر تماماً ما أفعل، إننا نقترب من النهاية.

فقال أنتويسل وهو يتنهد: ليتنا كنا نستطيع أن نخمن ماذا كانت هيلين تريد أن تقوله لي.

- لا لزوم للتخمين، أنا أعرف ما الذي رأته هيلين أبرناثي عندما كانت تنظر في مرآتها!

* * *

كان طعام الإفطار عملية ثقيلة، وقد تخلف كل من روزا موند وتيموزي عن الحضور، وتناول الكل من الطعام أقل مما اعتادوا أن يأكلوه. وكان جورج أول من استرد انتعاشه، إذ كان أقربهم إلى التفاؤل، وقد قال: أتوقع أن تصبح خالتي هيلين على ما يرام. إن الأطباء يحبون دائماً أن يتحفظوا. ثم ما هو الارتجاج في الحقيقة؟ إنه يتلاشى غالباً خلال أيام قليلة.

فقالت سوزان: ما لا أفهمه هو لماذا كانت هيلين تتكلم بالتليفون في مثل تلك الساعة المبكرة، ومن الذي كانت تكلمه؟

فقالت مود بلهجة الوثوق: أكبر الظن أنها كانت مريضة فاستيقظت وهي تشعر بحالة غير طبيعية ونزلت للاتصال بالطبيب تليفونياً، وعند ذلك شعرت بدوار وسقطت. هذا هو التفسير الوحيد المعقول.

وفي تلك اللحظة فُتح الباب وجاءت روزا موند مقطبة، قالت: لا يمكنني أن أجد تلك الأزهار الصناعية. أعني الأزهار التي كانت موجودة فوق الطاولة الرخامية يوم جنازة خالي رتشارد. ثم نظرت إلى سوزان بعين الاتهام قائلة: هل أخذتها أنت؟

- لم آخذها بالطبع، ما أعجب أمرك يا روزا موند! أتفكرين في الطاولة في الوقت الذي نقلت فيه هيلين المسكينة إلى المستشفى مصابة بارتجاج؟

- ليس بإمكاننا أن نفعل شيئاً من أجل هيلين، ولا بد لي أنا ومايكل من العودة إلى لندن لنكون هناك قبل موعد الغداء نظراً لارتباطنا بموعد مع المخرج بشأن افتتاح المسرحية، ولهذا أريد أن أنتهي من مسألة الطاولة. لكنني أحب أن ألقي نظرة أخرى على الأزهار الصناعية، فأين هي الأزهار؟ ربما كان لانسكوم يعرف.

وفي هذه اللحظات أطل لانسكوم ليرى إن كانوا قد فرغوا من الإفطار، فقالت روزا موند: لانسكوم، هل تعرف أين تلك الأزهار الصناعية التي كانت توضع عادة على الطاولة في غرفة الجلوس؟

- فهمت يا سيدتي أن السيدة هيلين اصطدمت بالزهرية الزجاجية فانكسرت منها، وقالت إنها ستأتي بزهرية جديدة، ولكن أظن أن هذا لم يتم بعد.

- وأين الأزهار إذن؟

- ربما تكون في الخزانة تحت الدرج. هذا هو المكان الذي توضع فيه الأشياء التي تحتاج إلى إصلاح. هل أتأكد يا سيدتي؟

- سأذهب وأنظر بنفسي. تعال معي يا مايكل فالمكان مظلم تحت الدرج ولا يمكن أن أذهب إلى الأركان المظلمة بعد ما حدث لخالتي هيلين.

دهش الجميع وقالت مود بصوتها العميق: ماذا تعنين يا روزا موند؟

- لقد ضربها أحدهم على رأسها، ألا ترون هذا؟

قال جورج بحدة: لا يليق أن تقولي كلاماً كهذا يا روزا موند.

فقالت روزا موند: لا بد أن هذا هو ما حدث لها. أعني... إنها حلقة في سلسلة الحوادث. شرطي سري موجود عندنا يبحث عن الأدلة، والخال رتشارد مات مقتولاً، والخالة كورا قتلت بضربة بلطة، والآنسة جيلكريست أُعطيت كعكة زفاف مسمومة... والآن الخالة هيلين تضرب على رأسها بآلة حادة. إذن فالمسألة سوف تستمر هكذا، واحد بعد واحد منا يموت مقتولاً، والذي يبقى في النهاية سوف يكون هو القاتل.

* * *

الفصل السابع عشر

دعا بوارو إلى عقد اجتماع في الساعة الحادية عشرة في قاعة المكتبة.

وقد حضر الجميع، وراح بوارو يدير نظره في الوجوه التي التفت حوله مفكراً ثم قال: لقد قالت لكم السيدة روزا موند في الليلة الماضية إنني شرطي سري. وكان بودي أن أخفي عنكم حقيقتي فترة أخرى، لكن لا يهم، فلن يمضي هذا اليوم أو غداً على الأكثر حتى أكون قد أعلنت لكم الحقيقة. والآن أرجو أن تنصتوا بعناية لما سوف أقوله. لقد إنني كنت صديقاً منذ أعوام للسيد أنتويسل.

- إذن فهو المحرك وراء هذا؟

- لك أن تقول هذا يا سيد كروسفيلد إذا شئت. لقد شعر السيد أنتويسل بانزعاج شديد من كلمات السيدة لانجنيز بعد الجنازة، كلمات قيلت في نفس هذه القاعة. وقد زاد انزعاجه وقلقه بعد أن تصادف موت السيدة لانجنيز... إذا سميناه مصادفة. وقد أراد أن يطمئن إلى أن وفاة رتشارد

أبرناثي كانت طبيعية، ومن أجل هذه الغاية عهد إليّ بالقيام بالتحريات اللازمة.

وتوقف بوارو لحظة، ثم قال: وقد قمت بهذه التحريات.

ومرة أخرى كان التوقف. ولم ينبس أحد ببنت شفة، فرفع بوارو رأسه إلى الخلف وقال: لا بأس، سوف يسركم جميعاً أن تعلموا أنه نتيجة لتحرياتي فليس هناك على الإطلاق ما يدعو إلى الظن بأن وفاة السيد رتشارد أبرناثي كانت ميتة غير طبيعية، لا مبرر بأي حال للاعتقاد بأنه قد مات مقتولاً.

وابتسم بوارو ورفع يديه بإشارة من حقق انتصاراً قائلاً: هذا خبر طيب، أليس كذلك؟

لكنهم لم يتقبلوا الخبر على هذه الصورة، فقد راحوا يحدقون إليه وبدت في نظراتهم جميعاً أمارات الشك والارتياب إلاّ واحداً. وكان هذا الشخص هو تيموزي أبرناثي الذي هز رأسه بقوة مصدقاً كلام بوارو وراح يقول بلهجة الغضب: بالطبع لم يمت رتشارد مقتولاً، لم أفهم أبداً لماذا يظن إنسان شيئاً كهذا؟ هي ألاعيب كورا المعروفة وقد أرادت إزعاجكم جميعاً، والحقيقة أنها على الرغم من كونها أختي فإنها كانت مختلة العقل إلى حد ما. لا بأس يا سيد، مهما يكن اسمك، أنا مسرور لأنك وصلت إلى النتيجة السليمة، وإن كنت أعدها صفاقة من أنتويسل أن يكلفك بالاطلاع على أحوالنا وخصوصياتنا. وإذا توهم أن

في إمكانه مطالبة أصحاب التركة بأتعابك فاعلم أنه لن يكون له هذا. من يكون أنتويسل حتى يتجرأ هكذا ما دامت الأسرة كانت مطمئنة؟

قالت روزا موند: لكن الأسرة لم تكن مطمئنة يا خالي تيموزي.

فقال تيموزي وهو يحدجها بنظراته مستاء: ما هذا الكلام؟

قالت روزا موند: نحن لم نكن مطمئنين. ثم ما رأيك فيما حدث لخالتي هيلين صباح اليوم؟

- هيلين شعرت بمرض فنزلت واتصلت تليفونياً بالطبيب، وعندئذٍ...

قالت روزا موند: لكنها لم تتصل تليفونياً بالطبيب، لقد سألته عن هذا.

فقالت سوزان بحدة: ومن هو الذي كانت تحدثه بالتليفون إذن؟

فقالت روزا موند وقد علت محياها سحابة استياء: لا أعرف، ولكن أعتقد أن في إمكاني أن أعلم.

* * *

قال المفتش مورتون: سمعت أنك موجود هنا في القصر يا سيد بوارو.

كان الرجلان يتمشيان في الشرفة معاً بينما استطرد مفتش الشرطة يقول: لقد جئت مع المفتش المساعد بارويل من ماتشنباد، فقد اتصل به الدكتور لارابي تليفونياً بخصوص السيدة هيلين أبرناثي، وقد جاء إلى هنا لإجراء التحريات اللازمة. إن الطبيب غير مرتاح بعد إلى نتيجة الفحص.

- وأنت يا صديقي المفتش، ما هو دورك هنا؟ إنك بعيد جداً عن مقر عملك في يوركشير.

- أردت أن أوجه بعض الأسئلة، والأشخاص الذين أردت سؤالهم وجدتهم مجتمعين هنا.

وتوقف المفتش قبل أن يضيف قائلاً: هل كان جمعهم هنا من صنعك؟

- نعم، من صنعي.

- ونتيجة ذلك أصيبت السيدة هيلين إصابتها التي أفقدتها الوعي؟

- لا يجب أن تلومني على هذا، لو أنها أقبلت إليّ لما كان حصل ذلك، لكنها لم تفعل، وبدلاً من ذلك اتصلت تليفونياً بمحاميها في لندن.

- وكانت في طريقها إلى مكاشفته بشيء ما عندما أصيبت؟

- هو ما تقول.

- وما الذي حاولت أن تقوله له؟

- شيء قليل. لم تقل له أكثر من أنها كانت تنظر إلى نفسها في المرآة.

فقال المفتش مورتون مغلوباً على أمره: أحقاً؟ ليس هذا غريباً.

على أنه تطلع إلى بوارو بحدة قائلاً: هل يوحي إليك هذا بشيء؟

- نعم، أعتقد أنني أعلم ما الذي أرادت أن تقوله للمحامي.

- أنت متنبئ كبير! لا بأس، وما هو؟

- معذرة، هل تتولى التحقيق في وفاة رتشارد أبرناثي؟

- رسمياً لا، وواقعياً نعم، إذا كان لهذا صلة بمقتل السيدة لانجنيز.

- نعم، هناك صلة، ولكنني أطلب منك يا صديقي مهلة ساعات معدودة، وبعدها سأعرف إذا كان ما تصورته (وأقول ما تصورته فقط) صحيحاً، فإن كان كذلك...

- حسناً، إذا كان كذلك؟

- عندئذٍ قد أتمكن من أن أضع بين يديك أدلة مادية.

فقال المفتش مورتون بانفعال: هذه الأدلة قد تكون عوناً كبيراً لنا في التحقيق الرسمي.

ثم تطلع إلى بوارو بارتياب قائلاً: ماذا تخفي عنا؟

- لا شيء بتاتاً، لأن الأدلة المادية التي تصورتها قد لا يكون لها وجود في الواقع. لقد استنتجت وجودها من خلال أحاديث مختلفة وقد أكون مخطئاً.

فقال مورتون باسماً: لكن هذا لا يحدث لك كثيراً؟

- صدقت، وإن كان لا بد لي من الاعتراف بأنه قد حدث أحياناً.

- وهل تطلب مني أن أؤجل التحقيقات التي أقبلت لاستكمالها؟

- لا، لا، بتاتاً. استمر في طريقك. أرجو ألا يكون في نيتك القبض على بعض الأشخاص؟

- الدواعي لهذا ليست قوية، لا بد أولاً من استصدار قرار من المدعي العام، وما زلنا بعيدين عن الظروف التي تبرر ذلك. المطلوب فقط أقوال بعض الأشخاص عن تحركاتهم في اليوم المشار إليه.

* * *

وجد بوارو روزا موند جالسة فوق مقعد خشبي قرب غدير يجري متدفقاً بين الأشجار وهي تحدق في الماء، فقال لها وهو يجلس بجوارها: أرجو ألا يكون في وجودي هنا مضايقة لك؟

فتطلعت إليه روزا موند برهة ثم قالت وهي تنظر إلى ساعة معصمها: ظننت أنك قد سافرت، فالساعة تجاوزت الثانية عشرة.

- لقد تأخرت عن موعد القطار.

- لماذا؟

- في رأيك أنني فعلت هذا عن قصد؟

- أظن هذا. أنت دقيق محافظ على مواعيدك، ومثلك إذا أراد ركوب قطار معين لما تركه يفوته.

- إن تقديرك رائع يثير الإعجاب. هل تعرفين يا سيدتي أنني كنت جالساً في الكشك الصيفي آملاً أن تأتي لزيارتي؟

فحدقت إليه روزا موند قائلة: ولماذا أفعل هذا؟ لقد ودعتنا جميعاً في قاعة المكتبة.

- بالضبط، أولم يكن هناك شيء كنت تريدين أن تقوليه لي؟

هزت روزا موند رأسها قائلة: كان عندي الكثير مما أردت أن أفكر فيه.

- مفهوم.

- إنني لا أفكر كثيراً في العادة، فهذا مضيعة للوقت، ولكن هذه المسألة هامة وأظن أن على الإنسان أن يرسم حياته بالكيفية التي يريدها.

- وهذا ما تفعلينه الآن؟

- حسناً، نعم. كنت أحاول أن أتخذ قراراً في شيء معين.

- خاص بزوجك؟

- إلى حد ما.

انتظر بوارو برهة ثم قال: المفتش مورتون جاء إلى هنا، وهو ضابط الشرطة المختص بالتحقيق في وفاة السيدة لانجنيز، وقد جاء إلى هنا للحصول على معلوماتكم جميعاً وما فعله كل منكم في اليوم الذي قتلت فيه.

فقالت روزا موند وقد تهلل محياها الجميل بصورة شيطانية غريبة: ستكون هذه مصيبة بالنسبة لمايكل، فهو يظن أنني لا أعرف أنه ذهب إلى تلك المرأة في ذلك اليوم.

فسألها بوارو: وكيف عرفت؟

- عرفت هذا بوضوح من لهجته وهو يقول إنه ذاهب للغداء مع أوسكار، فقد قالها بلهجة عرضية جداً وكان أنفه يرتعش كعادته كلما كذب.

- الحمد لله يا سيدتي أنني لست زوجك!

استطردت روزا موند تقول: ثم إنني تأكدت طبعاً باتصالي تليفونياً بأوسكار، فمن عادة الزوج دائماً أن يكذب هذه الأكاذيب الحمقاء.

فقال بوارو مجازفاً: لعله ليس زوجاً وفياً.

- لا.

قال بوارو: ولكنك لا تبالين.

فراحت روزا موند تقول: لا بأس، المسألة فيها عنصر الفكاهة إلى حد ما. أعني أن يكون للمرأة زوج تحاول كل النساء اختطافه منها. أنا أكره أن أتزوج رجلاً لا يريده أحد مثل سوزان المسكينة، إن جريجوري في الواقع شخصية تافهة.

قال بوارو وهو يتأملها: ولنفترض أن إحداهن نجحت في اختطاف زوجك منك؟

فأجابت روزا موند: لن تنجح أي امرأة في ذلك... ثم أضافت على الأثر: ليس الآن على الأقل.

فسألها بوارو: تقصدين؟

- ليس الآن ما دامت تركة خالي رتشارد موجودة. إن مايكل يضعف فعلاً أمام إغراء مثل هؤلاء النساء، وقد كادت تلك المرأة المدعوة سوريل رينتون أن تنشب خطافها، ولكن مع شخص مثل مايكل فإن المسرح يأتي في المقام الأول. إنه يستطيع الآن أن يقدم الاستعراض المسرحي الضخم الذي كان يحلم به. إنه شخص طموح وهو ممثل قدير فعلاً، وهو ليس مثلي. إنني أعبد التمثيل ولكنني ضعيفة الأداء رغم حسن مظهري، إلاّ أنني لم أعد أشعر بقلق على مايكل لأن المال في يدي كما ترى.

قالت هذا وواجهت نظراته بهدوء، فلم يتمالك بوارو أن عجب من غرابة موقف ابنتي أختي رتشارد أبرناثي هاتين، إذ وقعتا في حب شخصين ثبت أنهما لا يبادلانهما هذا الحب العميق.

* * *

الفصل الثامن عشر

جاءت البرقية في نحو الساعة السادسة مساء ذلك اليوم، وكان توزيع البرقية يداً بيد طبقاً للمطلوب لا تبليغاً بالتليفون.

وكان بوارو، الذي ظل يحوم فترة حول الباب الأمامي، هو الذي تسلم البرقية من لانسكوم حينما أخذها هذا الأخير من عامل البرقيات. وفي الحال فض بوارو البرقية في شيء من التلهف يخالف مألوفه وعادته، فكانت تتألف من ثلاث كلمات وتوقيع. وعلى الأثر تنفس بوارو الصعداء، ثم تناول من جيبه جنيهاً وقدمه إلى عامل البرقيات المذهول، وقال مخاطباً لانسكوم: هناك لحظات لا بد فيها من التخلي عن مبادئ الاقتصاد!

قال لانسكوم بأدب: هذا جائز يا سيدي.

فقال له بوارو: أين المفتش مورتون؟

– إن أحد ضابطي الشرطة قد ذهب، والثاني في غرفة المكتب كما أظن.

فقال بوارو: رائع، سوف أنضم إليه في الحال. وربّت بيده على ظهر لانسكوم قائلاً: تشجع، إننا على وشك الوصول.

وتحول عنه مبتعداً، ثم ما لبث أن استدار إليه قائلاً: ترى هل يمكنك أن تتذكر أول كلام قالته السيدة لانجنيز لك عندما وصلت إلى هنا في يوم تشييع جنازة سيدك؟

فقال لانسكوم وقد تهلل وجهه: أتذكّر هذا جيداً يا سيدي. إن الآنسة كورا... معذرة، أعني السيدة لانجنيز، فقد اعتدت أن أفكر فيها دائماً باسم الآنسة كورا.

- هذا طبيعي جداً.

- لقد قالت لي: "هالو لانسكوم! لقد مضى وقت طويل منذ أن اعتدت أن تحضر لنا حلوى المارينج إلى الأكشاك". فإن أطفال الأسرة قد اعتادوا أن يقضوا وقتهم في أكشاك خاصة بهم في الحديقة قرب السور، وكان من عادتي في الصيف، عندما تكون هناك مأدبة في القصر، أن أحضر المارينج إلى صغار أفراد الأسرة، وكانت الآنسة كورا مغرمة بهذا النوع من الحلوى.

فقال بوارو: نعم، هذا ما خطر لي.

وذهب بوارو إلى غرفة المكتب حيث وجد المفتش مورتون، وقدم إليه البرقية دون كلام، فقرأها مورتون وهو خالي الذهن ثم قال: لست أفهم كلمة واحدة منها.

- لقد حان الوقت لكي أخبرك كل شيء.

- نعم، نعم. قل لي كل شيء، إنني أستحلفك أن تعجل بهذا.

* * *

في هذه المرة جمع بوارو أفراد الأسرة في قاعة الجلوس الفسيحة. كانت ملامح الوجوه التي راحت تتطلع إليه أقرب إلى التبسيط والتفكه، بعكس ما كان الحال عندما تولت الشرطة رسمياً ممثلة بالمفتش ومساعده مهمة الاستجواب والتحقيق.

وبدا لبوارو أنه لا بد من بذل جهد مضاعف لكي يحدث في نفوسهم التأثير المطلوب، ولهذا بدأ حديثه قائلاً: للمرة الثانية أعلن إليكم سفري في الصباح. قلت لكم إنني مسافر بقطار الساعة التاسعة والنصف، أي بعد العشاء مباشرة، وسأذهب لأنه لم يبقَ لي هنا ما أفعله بعد ذلك. لقد جئت إلى هنا أصلاً لحل لغز، وقد انتهى حل اللغز! وأود أولاً أن أستعرض النقط المختلفة التي وضعها أمامي السيد أنتويسل المحترم.

أولاً: السيد رتشارد أبرناثي يموت فجأة.

ثانياً: بعد تشييع جنازته تصرح أخته كورا لانجنيز بقولها: "لقد مات رتشارد مقتولاً، أليس كذلك؟".

ثالثاً: السيدة لانجنيز تموت مقتولة.

والسؤال هو: هل هذه الأمور الثلاثة حلقات في سلسلة متصلة؟

ولنأخذ أولاً باستعراض ما يحدث بعد ذلك. إن الآنسة جيلكريست مرافقة القتيلة تصاب بالمرض بعد تناول قطعة من كعكة زفاف تحتوي على سم الزرنيخ، وهذه إذن هي حلقة جديدة في السلسلة.

والآن، وطبقاً لما قلته لكم صباح اليوم، فإنني لم أصادف في خلال تحرياتي أي شيء يؤيد الاعتقاد بأن السيد رتشارد قد مات مقتولاً بالسم. وبنفس هذا القدر يجوز لي أن أقول إنني لم أجد شيئاً يثبت بصفة قاطعة أنه لم يمت مقتولاً بالسم! ولكن الأمور لا تلبث كلما تقدمنا أن تغدو أيسر.

ليس هناك شك في أن كورا لانجنيز قد توجهت بهذا السؤال المثير في يوم الجنازة، أعتقد أنكم كلكم توافقون على هذا، وليس هناك شك في أن كورا قد قُتلت في اليوم الثاني، وكانت الأداة التي استخدمت في القتل هي بلطة. والآن لنقم معاً بفحص الواقعة الرابعة، وهي تسميم الآنسة جيلكريست.

إن سائق مركبة البريد في تلك المنطقة يؤكد بقوة، وإن لم يكن مستعداً لحلف اليمين القانونية، أنه لم يقم بتوزيع طرد كعكة الزفاف بالطريقة المتبعة. فإذا كان الأمر كذلك فإن الطرد قد وُضع في مكانه بفعل فاعل وليس عن طريق البريد. ومع أنه ليس لنا أن نستبعد وجود فاعل مجهول، غير أنه

لا بد لنا أن نضع في الاعتبار ونركز على أولئك الأشخاص الذين كانوا وقتها في مسرح الواقعة وفي موقف يمكّنهم من وضع الطرد في المكان الذي وجد فيه بعد ذلك.

كان هؤلاء الأشخاص هم الآنسة جيلكريست ذاتها بالطبع، وسوزان بانكس التي جاءت إلى الفيلا في ذلك اليوم لحضور التحقيق الرسمي، والسيد أنتويسل المحامي. وأقول إنه لا بد من الإشارة إلى وجود السيد أنتويسل أيضاً، فإنه كان حاضراً يوم تفوهت كورا بتصريحها المقلق. كما كان هناك أيضاً شخصان آخران، أحدهما رجل مسن قال إنه يدعى السيد جوثري خبير الفنون، وراهبة أو راهبتان جاءتا في وقت مبكر صباح ذلك اليوم لجمع التبرعات.

والآن فإنني قد قررت أن أبدأ بافتراض صحة ما ذكره موزع البريد. إذن، فلا بد من فحص موقف الأشخاص الأربعة الذين اتجهت إليهم الشبهة بكل دقة. أما عن الآنسة جيلكريست فإنها لم تنتفع على أية صورة من موت رتشارد أبرناثي، ولم تنتفع إلا بدرجة محدودة جداً من موت السيدة لانجنيز. والواقع أن موت الأخيرة قد تركها بلا عمل وجعلها في موقف يصعب عليها فيه أن توفق إلى عمل جديد، ثم إن الآنسة جيلكريست قد نُقلت إلى المستشفى بصورة لا شك فيها مصابة بتسمم زرنيخي.

وعن سوزان بانكس فإنها انتفعت فعلاً من موت رتشارد أبرناثي، وإن كان دافعها هنا لا بد أنه كان متمثلاً في العمل على حماية نفسها. فربما توفر لها من الأسباب القوية

ما جعلها تعتقد أن الآنسة جيلكريست قد سمعت كلاماً دار بين كورا وشقيقها فيه إشارة إليها، وربما قررت نتيجة لذلك أنه لا بد من التخلص من جيلكريست. ولعلكم تتذكرون أنها هي نفسها رفضت أن تتناول شيئاً من كعكة الزفاف، كما أنها كانت ترى تأجيل استدعاء الطبيب حتى صباح اليوم التالي عندما أصيبت الآنسة جيلكريست بحالها المرضية ليلاً.

وعن السيد أنتويسل، فإنه لم ينتفع من موت رتشارد وموت كورا، ولكنه سيطر سيطرة تامة على كل ما يتعلق بشؤون رتشارد وأمواله. لكنكم سوف تقولون: إذا كان الفاعل هو السيد أنتويسل فلماذا لجأ إلى التحقيق في القضية؟ ورداً على هذا أقول: ليست هي المرة الأولى التي يكون فيها القاتل مبالغاً في الثقة بنفسه.

والآن أنتقل إلى الشخصين الدخيلين على الأسرة: السيد جوثري والراهبة. إذا صح أن السيد جوثري هو السيد جوثري فإن هذا يبرئ ساحته، ونفس هذا ينطبق على الراهبة إذا كانت راهبة حقاً. والسؤال هو: هل هاتان الشخصيتان نفسهما حقيقة أم أنهما تمثلان شخصيتين أخريين؟

إذن فلدينا الآن أجزاء محددة المعالم في صورة القضية العامة: موت السيد رتشارد أبرناثي، ومقتل كورا لانجنيز، وكعكة الزفاف المسمومة، وظاهرة الراهبة. وسوف أضيف إلى هذا بعض ملامح أخرى للقضية استرعت انتباهي: زيارة خبير الفنون، ورائحة ألوان زيتية للرسم، وبطاقة مصورة

لميناء بولفلكسان، وأخيراً باقة أزهار صناعية موضوعة فوق طاولة الرخام.

إن تفكيري في هذه الأشياء هو الذي أفضى بي إلى الحقيقة، وأنا على وشك أن أخبركم بها.

الجزء الأول من الحقيقة أخبرتكم به صباح اليوم. لقد توفي رتشارد أبرناثي فجأة، لكن لم يمكن التأكد من وجود أي سبب يدعو إلى الاشتباه في وجود جريمة... لولا تلك الكلمات التي تفوهت بها أخته كورا في الجنازة. إن قضية مقتل رتشارد أبرناثي كلها ترتكز على هذه الكلمات. إنكم جميعاً قد اعتقدتم نتيجة لهذه الكلمات أن هناك جريمة قد ارتُكبت، وقد جاءكم هذا الاعتقاد لا بسبب الكلمات ذاتها حقاً، وإنما بسبب طبيعة كورا نفسها. فكورا كانت مشهورة دائماً بأنها تتفوه بالحقيقة الصارخة العارية في المواقف الحرجة، وهكذا فإن قضية مقتل رتشارد أبرناثي لم تستند فقط إلى ما قالته كورا، ولكن إلى كورا نفسها.

والآن أصل إلى السؤال الذي سألته لنفسي فجأة: إلى أي حد كنتم تعرفون كورا معرفة جيدة؟

وصمت بوارو برهة، فقالت سوزان بحدة: ماذا تعني؟

فاستطرد بوارو يقول: الرد على السؤال هو هذا: أنتم لم تعرفوها معرفة جيدة بأي حال، فإن جيل الشباب منكم لم يرها قط، وإذا كانوا قد رأوها فقد كان ذلك وهم أطفال صغار جداً. وكان هناك في الواقع ثلاثة أشخاص فقط من

الحاضرين في ذلك اليوم كانوا يعرفون كورا: لانسكوم رئيس الخدم، وهو عجوز ضعيف البصر. والسيدة تيموزي أبرناثي التي لم تشاهد كورا سوى مرات قليلة خلال فترة زواجها، والسيدة هيلين أبرناثي التي كانت تعرفها جيداً ولكنها لم ترها منذ مدة تزيد على عشرين سنة. وهكذا فقد قلت لنفسي: لنفرض أن التي جاءت إلى الجنازة في ذلك اليوم لم تكن هي كورا لانجنيز؟

وهنا هتفت سوزان بلهجة من لا يصدق ما يسمع: أتقصد أن خالتي كورا لم تكن هي التي ماتت مقتولة، بل امرأة أخرى؟

فرد بوارو قائلاً: لا، لا، إن التي ماتت مقتولة هي كورا لانجنيز، ولكن لم تكن كورا لانجنيز هي التي جاءت في اليوم السابق لحضور جنازة أخيها. المرأة التي جاءت في ذلك اليوم إنما جاءت لغرض واحد فقط، لكي تستغل ما حدث من وفاة رتشارد فجأة ولكي تخلق في أذهان أقاربه الاعتقاد بأنه قد مات مقتولاً... وهو ما نجحت في تحقيقه نجاحاً تاماً.

فقالت مود بحدة: كلام فارغ! لأي غرض؟ ما القصد من هذا؟

- لأي غرض؟ لتحويل الانتباه وإبعاده عن جريمة القتل الأخرى، عن جريمة قتل كورا لانجنيز نفسها. لأنه إذا قالت كورا إن رتشارد قد مات مقتولاً، وفي اليوم التالي توجد هي

مقتولة، فإن واقعتي القتل لا بد وأن ينظر إليهما على الأقل من باب السبب والنتيجة. لكن إذا قُتلت كورا واقترن القتل بالسطو على الفيلا، وإذا حدث أن السطو الظاهري لا يقنع الشرطة، فعندئذٍ سوف تبحث الشرطة. أين تبحث؟ في مسرح الجريمة، في الفيلا ذاتها. أليس كذلك؟ إن الشبهة لا محالة ستحوم حول المرأة التي تعيش معها تحت سقف واحد.

وعندئذٍ قالت الآنسة جيلكريست محتجة: آه! دع عنك هذا الكلام يا سيد بونتارلبير! لا أحسبك تظن أنني قد أرتكب جريمة قتل من أجل مشبك مرصع وبعض لوحات مرسومة زهيدة؟

فقال بوارو: طبعاً لا، ولكن من أجل ما هو أكثر من ذلك. لقد كانت هناك يا آنسة جيلكريست واحدة من تلك اللوحات الزيتية المرسومة التي تصور ميناء بولفلكسان والتي نقلت عن بطاقة مصورة تبين السقالة القديمة وهي لا تزال في مكانها (كما استطاعت السيدة بانكس بذكائها أن تكشف حقيقتها). لكن السيدة لانجنيز كانت ترسم صورها الزيتية دائماً نقلاً عن الطبيعة، وهذا جعلني أتذكر أن السيد أنتويسل المحامي كان قد تحدث عن وجود رائحة ألوان زيت للتصوير في الفيلا عندما ذهب إلى هناك أول مرة. وأنت ترسمين بالزيت يا آنسة جيلكريست، أليس كذلك؟ وكان والدك فناناً، ولك معرفة كبيرة بالصور.

فلنفرض أن إحدى الصور التي اشترتها كورا رخيصة في أحد المزادات كانت صورة فنية ثمينة، ولنفرض أنها

لم تعرف قيمتها الحقيقية ولكنك أنت عرفت قيمتها. لقد كنت تعرفين أنها تنتظر زيارةً قريبةً من صديق قديم لها خبير بالفنون، وفي هذا الوقت يتوفى أخوها رتشارد فجأة، وسرعان ما تثب إلى ذهنك خطة معينة. من السهل عليك أن تدسي لها دواء منوماً في فنجان الشاي الذي تشربه في الصباح مما يجعلها تغيب عن الوعي طول يوم الجنازة بينما تقومين أنت نفسك بدورها وتمثلين شخصيتها في قصر أندربي. وأنت تعرفين القصر جيداً نتيجة استماعك إليها وهي تتكلم عنه، فهي قد تكلمت كثيراً عن أيام طفولتها كما يفعل الناس وهم يتقدمون في مراحل الحياة، وسهل عليكِ أن تبدئي الحديث إلى لانسكوم العجوز عن ذكريات حلوى المارينج وعن الأكشاك الصيفية لكي تطمئنيه إلى شخصيتك إذا كان عنده شك في ذلك.

نعم، لقد استخدمت معرفتك بالأجواء في قصر أندربي بصورة جيدة في ذلك اليوم، مع إبداء تلميحات كثيرة إلى هذا الشيء أو ذاك وإثارة كثير من الذكريات. ولم يشتبه أحد منهم في أنك لست كورا الحقيقية. لقد حشوت ملابسك من الداخل قليلاً ليبدو قوامك مثل قوامها، ولم يكن أحد منهم قد رأى كورا في العشرين سنة الماضية. وفي خلال عشرين سنة تطرأ تغييرات على الناس حتى ليقول من يراهم: لو رأيتها قبل ذلك لما عرفتها!

لكن هناك خصائص معينة في سلوك الإنسان تبقى في ذاكرة الناس، وقد كانت لكورا خصائص معينة رحت

أنت تمارسينها أمام المرآة بكل عناية. ومن الغريب أن تلك كانت أولى غلطاتك، فقد نسيتِ أن الصورة في المرآة تبدو معكوسة، وهكذا فعندما رأيت في المرآة انعكاس صورة وجهك وأنت تعيدين تمثيل الحركة المعروفة عن كورا وهي تميل رأسها إلى جانب (كما تفعل أثناء كلامها) لم تدركي أنك قد عكست في الواقع الوضع الطبيعي.

ولنقل توضيحاً لهذا إنك رأيت كورا تُميل رأسها إلى اليمين، لكنك نسيت أن رأسك كان مائلاً إلى اليسار كي يحدث هذا التأثير في المرآة. وهذا هو ما أثار حيرة وقلق هيلين أبرناثي في اللحظة التي تفوهتِ أنت فيها بالتصريح المشهور. إن شيئاً ما بدا لها خاطئاً، وقد أدركت بنفسي عندما ذكرت روزا موند في الليلة الماضية ملاحظة لم تقصدها ماذا يحدث في مثل هذا الموقف.

وإذن فعندما شعرت السيدة هيلين بأن ثمة شيئاً خاطئاً فلا بد أن يكون ذلك الشيء الخاطئ متعلقاً بكورا لانجنيز. ثم حدث أن هيلين جلست أمام المرآة، والمرجح أنها كانت تفكر في كورا، وتذكرت كيف كان من عادة كورا أن تميل رأسها إلى اليمين، وفعلت هذا ونظرت في المرآة، وعندئذٍ بدت لها الصورة خاطئة بالطبع. لقد أدركت في غمضة عين ما هو الشيء الذي رأته خاطئاً في يوم الجنازة!

والواقع أن ذلك قد أثار حيرتها، فإما أن تكون كورا قد أصبحت تُميل رأسها في الاتجاه العكسي (وهو شيء أبعد ما يكون عن الاحتمال) وإما أن كورا لم تكن هي كورا. وسواء

كان هذا أو ذاك فهو شيء بدا لها غير معقول، لكنها صممت على إبلاغ ما اكتشفته إلى السيد أنتويسل في الحال. وفي ذلك الوقت كان شخص معتاد على اليقظة المبكرة موجوداً عن كثب، وقد تبعها إلى الدور الأرضي، ولخوفه من الأقوال الجديدة التي قد تبديها السيدة هيلين فإنه قد ضربها على رأسها بأداة ثقيلة.

وتوقف بوارو برهة ثم أضاف قائلاً: وأستطيع الآن أن أقول لك -يا آنسة جيلكريست- إن الارتجاج الذي أصيبت به السيدة هيلين غير خطير، فعن قريب سيكون بإمكانها أن تحكي لنا القصة بنفسها.

فقالت الآنسة جيلكريست: أنا لم أفعل شيئاً مما تقول، هذا كله كذب وافتراء.

على أن بوارو لم يعبأ بها واستطرد يقول: إن الإيحاء الذي قلته أنت يوم الجنازة عن القتل لم يكن بالطبع سوى الخطوة الأولى، فقد كان في جعبتك أشياء أخرى. كنت على استعداد في أية لحظة للاعتراف بأنك قد استمعت إلى محادثة دارت بين رتشارد وأخته، وليس هناك شك في أن ما قاله لها في الواقع هو أنه لن يعيش طويلاً، وهذا يفسر عبارة غامضة وردت في الرسالة التي بعث بها إليها بعد عودته إلى القصر. أما عن تسميمك لنفسك (لدرجة سيئة، ولكن ليست مميتة) فإن هذه حيلة قديمة، ويحق لي أن أقول إنها قد أدت إلى إثارة اشتباه المفتش مورتون في أمرك.

وهنا قالت روزا موند: ولكن ماذا عن الصورة؟ أي نوع من الصور كانت؟

فبسط بوارو برقية في يده ببطء وأخذ يقول: لقد اتصلت صباح اليوم تليفونياً بالسيد أنتويسل، وهو شخصية مسؤولة، وطلبت إليه أن يذهب إلى بيت السيد تيموزي في ستاسفيلد غرانج ويقول إن السيد تيموزي قد فوضه بالبحث بين الصور الخاصة بالآنسة جيلكريست والموجودة في غرفتها عن الصورة التي تمثل ميناء بولفلكسان، فيأخذها بحجة وضعها في إطار جديد لتكون مفاجأة للآنسة جيلكريست. وقد كلفته بأن يعود بالصورة إلى لندن ويقابل السيد جوثري، خبير الفنون الذي أخطرته سلفاً بالبرقية. وقد أزيلت الصورة التي رسمتِها أنتِ على عجل لميناء بولفلسكان وظهرت تحتها اللوحة الفنية الحقيقية. ورفع بوارو البرقية وقرأها: "اللوحة بريشة فيرمير بلا شك، جوثري".

وفجأة انفجرت الآنسة جيلكريست تقول وكأنما سرى فيها تيار كهربائي: كنت أعرف أنها لوحة الفنان فيرمير، كنت أعرف ذلك... أما كورا فلم تعرفها رغم أنها اشترتها في المزاد، كانت تتحدث عن لوحات رامبرانت وعن روائع الفن الإيطالي، وهي في نفس الوقت عاجزة عن تمييز لوحة للفنان فيرمير وهي تحت أنفها! كانت تثرثر دائماً عن الفن وهي لا تفهم من الفن شيئاً، إنما كانت في الواقع امرأة جاهلة غبية. كانت تهذي دائماً عن هذا المكان، عن قصر أندربي وعما كانوا يفعلونه فيه وهم أطفال وعن رتشارد

وتيموزي وبقيتهم... كانوا يتقلبون في النعيم والغنى، كان أولئك الأطفال يتمتعون بأجمل وأطيب ما في الحياة. من الصعب أن أصور لك كيف كان ثقيلاً على النفس أن أستمع إليها وهي تتحدث دائماً عن نفس الموضوع، يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة، وأثقل من هذا أن أجاملها في كل جملة تقولها وأجاريها في الاهتمام في الوقت الذي كانت تضيق فيه نفسي بها وبكلامها المتكرر الممل السخيف، وفي الوقت الذي لم يكن لي فيه أمل في شيء. ثم فجأة تظهر لوحة من رسم الفنان فيرمير... لقد رأيت في الصحف أن إحدى لوحات فيرمير قد بيعت أخيراً بمبلغ خمسة آلاف جنيه.

فقالت سوزان بلهجة من لا يصدق ما يسمعه: أنت قتلتها بتلك الطريقة الوحشية، من أجل خمسة آلاف جنيه؟

قال بوارو: إن خمسة آلاف جنيه تكفي لسداد إيجار وإعداد مشرب شاي جديد.

فالتفتت إليه الآنسة جيلكريست قائلة: على الأقل أنت وحدك تفهم. لقد كانت هذه هي الفرصة الوحيدة التي يمكن أن أنالها، كان لا بد لي من رأسمال كبير...

وتهدج صوتها بتأثير الحلم الذي استحوذ عليها ومضت تقول: كنت أنوي أن أسميه «مشرب شاي النخلة» وأضع تماثيل جِمال صغيرة كحوامل لقوائم الطعام، وكنت أنوي افتتاح المشرب في أحد الأحياء الراقية التي يتردد عليها كبار الناس. أنا واثقة من أنني كنت سأنجح نجاحاً كبيراً.

وتوقفت برهة، ثم عادت تقول بلهجة الحالمة: كنت سأختار موائد من خشب البلوط وكراسي من الخيزران عليها وسائد مخططة بالأحمر والأبيض.

وسادت فترة صمت بدا فيها وكأن مشرب الشاي الذي لن يكون أبداً أقرب إلى عالم الواقع من قاعة الجلوس العتيقة في قصر أندربي التي كانوا جلوساً بها. وكان المفتش مورتون هو الذي قطع حبل الصمت إذ قال: أظن أننا يجب أن نذهب الآن.

فالتفتت إليه جيلكريست بكل أدب قائلة: آه، بالتأكيد، في الحال. لا أريد التسبب بمتاعب من أي نوع. وعلى أي حال ما دمت لم أستطع الحصول على مشرب شاي النخلة فلا شيء بعد ذلك يهمني.

وخرجت مع مفتش الشرطة فقالت سوزان بصوت مرتجف: لم أتصور في حياتي قاتلة لها أخلاق وتصرفات سيدات المجتمع كهذه المرأة، هذا شيء فظيع!

* * *

الفصل التاسع عشر

قالت روزا موند وهي تنظر إلى بوارو بعينيها الواسعتين معاتبة: لكنني لم أفهم حتى الآن مسألة الأزهار الصناعية.

كان ذلك في مسكن هيلين بلندن، وكانت هيلين ذاتها جالسة على الأريكة مسترخية وقد جلس بوارو وروزا موند يشربان الشاي معها. وعادت روزا موند تقول: لا أفهم ما علاقة الأزهار الصناعية بالقضية أو بالطاولة الرخامية.

فراح بوارو يقول: الطاولة لا علاقة لها بالقضية فعلاً، ولكن مسألة الأزهار الصناعية كانت هي الغلطة الثانية التي صدرت عن الآنسة جيلكريست، فقد قالت إن مظهرها كان جميلاً فوق الطاولة ولكنها لم تبصرها فعلاً وقتها فوق الطاولة، لأن آنية الزهور الصناعية كانت قد انكسرت ورفعت من مكانها قبل مجيئها في صحبة تيموزي أبرناثي وزوجته مود! إذن فلا يمكن أن تكون قد رأت الزهور إلا عند وجودها ممثلة لشخصية كورا لانجنيز.

قالت روزا موند: إن هذا غباوة منها في الواقع.

فقال بوارو: وهذا يبين لك أخطار الكلام والثرثرة يا سيدتي. إنني أعتقد اعتقاداً راسخاً أنك إذا استطعت استدراج إنسان للكلام معك وقتاً كافياً في أي موضوع فإنه سوف يكشف دخائله.

فقالت ساهمة: سوف أرعى الحذر دائماً في كلامي.

ولم تلبث أن قالت وقد عاد إلى محياها إشراقته: هل تعلم أنه سيكون لي طفل وأنني قد قررت أن أهجر المسرح وأكتفي بأن أكون أماً؟

- وهذا دور سينطبق عليك بشكل رائع. إنني أرى سلفاً لقطات بديعة للطفل في المجلات التي تنشر أخبار المجتمع.

- نعم، هذا شيء رائع. هل تعرف أن مايكل سعيد بهذا؟ لم أكن أتصور أنه سيكون هكذا!

وتوقفت برهة ثم أضافت قائلة: لقد أخذت سوزان الطاولة، فقد رأيت أنني ما دمت سأكون أماً...

وتركت الجملة دون أن تتم كلماتها، ثم قالت: إن مشروع سوزان لمستحضرات التجميل يبشر بنجاح كبير.

فقال بوارو: نعم، لقد وُلدت لكي تنجح.

وقالت روزا موند: أما زوجها فقد سافر إلى جهة مجهولة، وتقول سوزان إنه قد سافر في رحلة للعلاج والراحة.

* * *

عندما عاد بوارو إلى مسكنه وجد المقعد الوثير المجاور للمدفأة يحتله أنتويسل المحامي الذي ابتدره قائلاً: أهلاً يا بوارو. أنا عائد تواً من المحكمة، وقد أصدر المحلفون قراراً بإدانة المتهمة بالطبع، واعتقادي أن الحكم سيكون الإعدام. وأغرب ما في هذه المرأة هو هدوؤها ورباطة جأشها، حتى إنها لم تفتأ تعد لمشروعات جديدة لفتح سلسلة من مشارب الشاي. إن الإنسان لا يتمالك أن يشك في سلامة عقلها، أما أنا فلا أعتقد بأنها مجنونة. لا شك أنها كانت في تمام العقل والإدراك عندما دبرت جريمتها ونفذتها بكل برود.

فقال بوارو وقد سرت فيه رعدة خفيفة: لن أنسى عبارة قالتها سوزان عندما وصفتها بأنها قاتلة لها أخلاق وتصرفات سيدات المجتمع.

فقال المحامي: ولم لا؟ كل شيء جائز في عالم الإجرام.

* * *

(تمت)